جامعة الملك فيصل

عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

حاضر العالم الإسلامي

د. مهند الدعجة

المحاضره الاولى

الفصل الأولى

أهمية العالم الإسلامي ومقوماته الأساسية

عناصر المحاضرة

- مقدمة
- الموقع الجغرافي(خرائط توضيحية).
- أهمية العالم الإسلامي.
- أولاً: الموقع الإستراتيجي .
- إطلالة العالم الإسلامي على البحار والمحيطات.
- المضائق التي يشرف عليها العالم الإسلامي.
- ثانياً: الموارد الطبيعية.
- الثروات الزراعية.
- أهم الغلات الزراعية في العالم الإسلامي .

موقع العالم الإسلامي:

تضاريس العالم الإسلامي:

الوحدات السياسية للعالم الإسلامي:

خرائط إضافية توضيحية:

أهمية العالم الإسلامي:

ما أهمية العالم الإسلامي؟

يتمتع العالم الإسلامي بمميزات متعددة أكسبته أهمية كبيرة كما جعلته موطناً للصراع بين القوى العالمية المختلفة عبر العصور المختلفة ، وأشهر هذه المميزات :

أولاً: الموقع الإستراتيجي:

يحتل العالم الإسلامي قلب العالم القديم (آسيا ، وأفريقيا ، وأوروبا) ، ويكون جسراً أرضياً يربط هذه القارات الثلاث ، ويشغل مساحات واسعة فيها ، فهو يمتد من جزر الملايو شرقاً إلى الأندلس غرباً ، ومن تنزانيا جنوب خط الاستواء حتى كازاكستان في الشمال ، وبهذا يشكل المسلمون محيطاً اجتماعياً عظيم الامتداد ، وليس العالم الإسلامي كما يصوره الجغرافيون الأوروبيون قطاعاً صحراوياً فقيراً في موارده ، متخلفاً في سكانه ، فهو – يقع كما يقال – في " صرة العالم " ممسكاً بأطرافه ، متحكماً في محيطاته ، وبحاره ، وخطوط ملاحته، زاخراً بأهم الأنهار ، وأخصب الأراضي ، وأعظم الثروات .

هل يشرف العالم الإسلامي على مسطحات مائية؟

إطلالة الوطن العربي على البحار والمحيطات:

فالعالم الإسلامي بامتداده الجغرافي هذا يشرف على أهم الأذرع المائية ، من جهة نظر الملاحة والتجارة الدولية ، فالبحار الهامة التي يشرف عليها العالم الإسلامي هي :البحر المتوسط ، والبحر الأحمر ، والخليج العربي ، وبحر العرب ، والبحر الأسود وبحر الصين الجنوبي ، وهذه الأذرع المائية تتصل بالمسطحات المائية العالمية الكبرى كالمحيط الأطلسي ، حيث تعيش مجموعات إسلامية كبيرة على سواحل أفريقية الغربية – أي من طنجة شمالاً حتى خليج بيافراً جنوباً ، وعلى ساحل المحيط الهندي يعيش المسلمون على بلدان القطاع الساحلي من شرق أفريقيا ، مثل الصومال ، وتنزانيا وأثيوبيا ، كما أن العالم الإسلامي يطل على المحيط الهادي من خلال بعض جزر إندونيسيا والفلبين .

المضائق التي يشرف عليها العالم الإسلامي:

إن هذه الإطلالة المائية جعلت العالم الإسلامي يشرف على عدة منافذ بحرية عظيمة الأهمية هي:

١- مضيق جبل طارق الذي يتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر المتوسط .

٢- ومضيق الدردنيل والبوسفور ، ويتحكمان في اتصال البحر الأسود بالبحر المتوسط .

٣- وقناة السويس الإستراتيجية التي تربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط .

٤-ومضيق باب المندب، وخليج عدن اللذان يتحكمان في اتصال البحر الأحمر ببحر العرب .

٥-ومضيق هرمز وخليج عمان ، ويتحكمان في اتصال المحيط الهندي بالخليج العربي .

٦- ثم هناك مضيق ملقا وسنغافورة، ويتحكمان في اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي ، والمحيط الهادي .

كل ذلك أكسب العالم الإسلامي أهمية إستراتيجية وعسكرية لها خطورتها في ميزان القوى العالمية ، وهذا يفسر لنا تكالب الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي ، ورغبتها في السيطرة عليه بالعمل على إثارة المشاكل فيه حتى يبقى ممزقاً ، فيسهل عليها التحكم فيه ، ومن تلك المشاكل زرع اليهود الصهيونيين في فلسطين ، وغزو جنوب السودان وقضايا المسلمين في كشمير والفلبين وفي أثيوبيا والصومال وأرتيريا إلى آخر تلك المشاكل التي تقف عقبة في وحدة وتعاون أجزاء العالم الإسلامي ، وتبقيه تحت دائرة نفوذ تلك القوى الاستعمارية .

ثانياً: الموارد الطبيعية:

يمتاز العالم الإسلامي بأهمية اقتصادية هائلة بما حباه الله من ثروات طبيعية متنوعة : زراعية ، وحيوانية ومعدنية .

الثروات الزراعية:

يحوي العالم الإسلامي أراضي زراعية واسعة ، وتجري فيه كثير من الأنهار الهامة ، منها : نهر النيل ، ونهر الكونغو (زائير) ، ونهر النيجر في أفريقيا ، ودجلة والفرات ، والسند ، والفنج ، وسرداريا " سيحون " ، وأمودايا " جيحون " ، والعاصي ، والليطاني ، والأردن في آسيا ، هذا بالإضافة إلى المياه الجوفية التي يحظى بها العالم الإسلامي .

ولاتساع العالم الإسلامي تنوع المناخ ، حيث تسود هذا العالم مختلف المناخات الاستوائية ، والمدارية، والموسمية ،والمعتدلة ، فالمناخ الاستوائي الحار الماطر طوال العام ، ذو الغابات الكثيفة يسود في الملايو، وأكثر الجزر الإندونيسية وجنوب السودان ، أما المناخ الموسمي الحار الماطر صيفا فيسود مناطق بنغلاديش ، واليمن ، وعمان ، ونيجيريا ، وساحل غينيا ، وهضبة الحبشة وهناك المناخ القاري بقسميه : الصحراوي الحار الذي يسود الصحراء الأفريقية الكبرى ، وشبة جزيرة العرب ، وجنوب إيران ، وجنوب باكستان وصحراء ثار في الهند، أما المناخ الصحراوي البارد ففي هضبة إيران ، وهضبة الأناضول ، وتركستان .. كما أن المناخ الدافئ المعتدل (مناخ البحر المتوسط) ، فيسود على شواطئ البحر المتوسط الجنوبية ، والشرقية ، والشمالية .

ومن أهم الغلات الزراعية في العالم الإسلامي مايأتي :

- الأرز: ويتوافر في ماليزيا ، وبنغلاديش ، وباكستان ، ومصر ، وإندونيسيا .

٢- القمح: في إيران ، وأفغانستان ، وتركيا ، وباكستان ، والشام ، ومصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وبلدان المغرب العربي .

٣- الخضروات والفواكه: وتتوافر في إقليم البحر المتوسط ، والموز في الصومال وأفريقيا الغربية ، والحمضيات في تركيا ، وشمال أفريقيا ، وبلاد الشام وبخاصة في فلسطين ، والتمر في المناطق الصحراوية .

٤- القطن: ويتوافر طويل التيلة منه في السودان ومصر ، ومتوسط التيلة في تركيا ، وباكستان، وأفغانستان ، وإيران ، وقصير التيلة في المغرب العربي ، وباكستان ، كما أن القطن يزرع في الجمهوريات الإسلامية في الإتحاد السوفيتي السابق ، في تركستان ، وفي أذربيجان ، وداغستان غربي بحر قزوين ، وتنتج هذه المنطقة وحدها أكثر من إنتاج دول العالم الإسلامي مجتمعة .

ويصل إنتاج العالم الإسلامي إلى حوالي ٤٠% من الإنتاج العالمي للقطن .

٥- الحبوب الزيتية: ومنها السمسم في السودان ومصر ، وإندونيسيا ، والفول السوداني في السودان ونيجيريا .

٦- قصب السكر: في باكستان ، بنغلادش ، إندونيسيا ، والسودان ومصر .

٧- المطاط: من غابات الإقليم المداري ، وتنتج نيجيريا وحدها ٧٢% من إنتاج المطاط العالمي، كما تنتجه كل من إندونيسيا والملايو .**

المحاضرة الثانية

أهمية العالم الإسلامي ومقوماته الأساسية .....

عناصر المحاضرة

- مقدمة
- الثروات الحيوانية.
- الثروة المائية.
- الثروة المعدنية.
- معادن أخرى.
- الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي.
- ثالثاً: أهمية العالم الإسلامي البشرية.
- مفهوم الأمة الإسلامية .

مقدمه:

درسنا المحاضرة السابقة:

- أهمية العالم الإسلامي.
- أولاً: الموقع الإستراتيجي .
- إطلالة العالم الإسلامي على البحار والمحيطات.
- المضائق التي يشرف عليها العالم الإسلامي.
- ثانياً: الموارد الطبيعية.
- الثروات الزراعية.
- أهم الغلات الزراعية في العالم الإسلامي .

الثروات الحيوانية:

إن تنوع مناخ العالم الإسلامي أدى إلى وجود المراعي الطبيعية الواسعة ، مثل حشائش السافانا وغيرها ، وتلك المراعي والأعشاب هيأت لنشأت ثروة حيوانية متنوعة داخل قطاعات العالم الإسلامي المختلفة ، من ماعز ، وضأن ، وإبل ، وخيل ، وبقر .

الثروة المائية:

إن إطلالة العالم الإسلامي على البحار والمحيطات والمنافذ المائية ، واحتوائه على أنهار كبيرة ، وبحيرات ، وبحار داخلية (كبحر قزوين) ، هيأ الأسباب لتوفر ثروات مائية كبيرة ، مثل الأسماك ، والأسفنج ، واللؤلؤ، فهناك الأسماك في اندونيسيا ،وباكستان ، وتركيا،وماليزيا ، ومصر، والمملكة العربية السعودية ، والمغرب.. وهناك أيضا الأسفنج الذي بالقرب من سواحل البحر المتوسط الجنوبية ، وسواحل البحر الأحمر،أما اللؤلؤ ذو الشهرة الواسعة فيكثر في مياه الخليج العربي ، وبعض مناطق البحر الأحمر ، ويجد اللؤلؤ الآن منافسة شديدة من اللؤلؤ الصناعي.

الثروة المعدنية:

تحتوي أرضي العالم الإسلامي على معادن تعتبر ثروات طبيعية هامة ، وموارد مستغله، وبعضها غير مستغل ، ومن أهمها:

البترول والغاز الطبيعي: وتحتل دول العالم الإسلامي مركزا متفوقا في مجال إنتاجه واحتياطية الذي يقدر بأكثر من حوالي ٥٧% من احتياطي العالم البترولي ، وأكثر من ٥٣% من احتياطي الغاز الطبيعي ، وينتج العالم الإسلامي اليوم نحو ثلث الإنتاج العالمي من النفط ، ويساهم بأكثر من نصف النفط المعروض في الأسواق العالمية ، وأهم المناطق الإسلامية لإنتاجه هي:

١_ منطقة الخليج العربي : المملكة العربية السعودية ، الكويت ، العراق ،إيران ، قطر، البحرين، عمان، والإمارات العربية المتحدة.

٢_ منطقة جنوب شرق آسيا : وهي ماليزيا ، إندونيسيا ، سلطنة بروناي.

٣_ منطقة قفقاسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود_ وتستغله روسيا.

٤_ منطقة شمال أفريقيا : ليبيا والجزائر.

٥_ غرب أفريقيا ، نيجيريا ، والكاميرون، وتوجو.

٦_ وهناك بعض البترول في مصر ، والسودان ، واليمن.

والدول العشرة الأوائل في العالم في احتياطي البترول حسب ترتيبها هي : السعودية الكويت روسيا المكسيك إيران العراق الإمارات العربية المتحدة، الولايات المتحدة، فنزويلا ، وليبيا ويلاحظ أن من بين هذه الدول العشرة هناك ست دول إسلامية ، وهذه دلالة على ما يتمتع به العالم الإسلامي من أهمية بوجود هذه المادة في أراضية.

وأهمية البترول كمصدر من أهم مصادر الطاقة لا تحتاج إلى كثير بيان ، فبدونها لا يمكن قيام أي نوع من أنواع النشاط الاقتصادي ، سواء كان زراعيا أو صناعيا أو تجاريا ، وبدون الطاقة تتوقف وسائل النقل والمواصلات في العالم ، والبترول مادة خام لكثير من الصناعات الكيماوية والبترولية وهو فوق هذا وذاك يشكل المورد المالي الأساسي لمعظم الدول المنتجة له ، وكما قدمنا فإن العالم الإسلامي ينتج نحو ثلث الإنتاج العالمي النفطي .

معادن أخرى:

وفي العالم الإسلامي ثروات معدنية أخرى كالفوسفات الذي تصنع منه الأسمدة الزراعية ، ويوجد الفوسفات في المملكة العربية السعودية ، وتونس ، والأردن ، والسنغال ، والجزائر ، ومصر ، وسوريا ، وينتج العالم الإسلامي حوالي ٢١% من إنتاج الفوسفات في العالم .

وهناك الكروم الذي يستعمل في صناعة الصلب ، والسبائك الحديدية يوجد في إيران ، وتركيا ، وباكستان ، والسودان ، وألبانيا ، وأكثر الأقطار الإسلامية إنتاجاً للكروم هي تركيا والتي تنتج حوالي ٤١% من جملة إنتاج العالم الإسلامي ، وتليها ألبانيا ، ثم إيران وباكستان ، ويبلغ إنتاج العالم الإسلامي من الكروم حوالي ١٩% من إنتاجه العالمي .

أما الحديد فموجود في ماليزيا ، وتركيا ، وإيران ، والمغرب ، والجزائر ، وباكستان ، ومصر، وغينيا ، وموريتانيا ، وتونس .

وإنتاج العالم الإسلامي من القصدير (من ماليزيا ، وإندونيسيا ، وإيران ، والمغرب العربي ، وتركيا ، ونيجيريا) فيبلغ أكثر من نصف الإنتاج العالمي .

وعلى هذه الثروات المعدنية يقوم العديد من الصناعات المهمة التي تسهم في بناء ونمو اقتصاد البلاد الإسلامية ، وتساعد على رفع مستوى دخل الأفراد ، والنهوض بمستويات المعيشة ، خاصة وأن رؤوس الأموال متوفرة في العالم الإسلامي ، وبخاصة في البلدان المنتجة للبترول ، وكذلك تتوفر الأيدي العاملة وبخاصة في البلدان المكتظة بالسكان مثل إندونيسيا ، وبنغلاديش ، وباكستان ، ومصر ، ونيجيريا وغيرها .

الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي :

من خلال ما سبق يتضح لنا الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي ، والتي تفوق أهمية غيره من المناطق ، نتيجة لما يتمتع به من خصائص هي باختصار:

١- موقعه في قلب العالم القديم (آسيا ، وأفريقيا ، وأوروبا) وتوسطه بين ذلك العالم والعالم الجديد (أمريكا الشمالية والجنوبية ، وأستراليا) .

٢- إشرافه على البحار والمحيطات العالمية الهامة .

٣- توافر مواد الوقود ، وكذلك الموانئ البحرية ، وصفاء أجوائه معظم أيام السنة مما جعله مركزاً مهماً للمواصلات العالمية .

٤- توافر وتنوع محاصيله ومنتجاته الزراعية .

٥- توافر المعادن المتنوعة والضرورية كمواد خام لكافة الصناعات الخفيفة والثقيلة ، أضف إلى ذلك ازدياد أهمية هذا العالم بشق قناة السويس التي سهلت اتصال الشرق بالغرب بحراً ، وقلصت المسافات إلى حد بعيد .

ثالثاً: أهمية العالم الإسلامي البشرية:

سكان العالم الإسلامي مجملهم ومعظمهم مسلمون يكونون أمة الإسلام ، أو الأمة الإسلامية ، وهي أمة فريدة من حيث ماهيتها ومن حيث مقوماتها ، وترابطها ووحدتها ، فوحدتها ثابتة ومظاهرها كثيرة ، ومتشابهة ، ومتشعبة لا مثيل لها وهي قائمة على أسس راسخة أهم مظاهرها:

١- وحدة العقيدة : فالتوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله هي أصل وحدة المسلمين على كافة اختلافاتهم العرقية ، واللغوية ، والسياسية وغيرها .

٢- وحدة العبادة : فالهدف الأسمى بالنسبة للأمة الإسلامية هو عبادة الله الخالق القهار ، ووحدانية هذه العبادة تتجلى في الممارسة والسلوك ، فوحدة القبلة في الصلاة مظهر له وقعة في الأمة الإسلامية ، وكذلك صوم شهر رمضان في السنة وكذلك الحج في شهر معلوم ، ويوم معلوم، وبلباس واحد ومناسك واحدة ، وقفتهم في عرفة في يوم واحد.

٣- وحدة التشريع : وذلك أن مصدر التشريع في الإسلام هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة _ والشريعة هي قانون المسلمين الأوحد .

٤_ وحدة السلوك في العادات والتقاليد : وتتجلي في الأفراح والأتراح ، وفي آداب المسلمين في السلام ، وفي عونهم للمحتاج وإغاثتهم للمصابين من المسلمين وغيرهم في الكوارث والنوازل منطلقين من مبدأ " وتعاونوا على البر و التقوى " .

٥ _ وحدة اللغة : فاللغة _ لغة القرآن الكريم _ هي لغة مشتركة بين جميع المسلمين ، فتعلمها واجب من أجل معرفة قواعد الإسلام وأداء عباداته .

٦_ وحدة التاريخ ووحدة الآمال والهدف : فتاريخ المسلم أيا كان موقعه هو تاريخ الأمة الإسلامية .. فالتاريخ الإسلامي إلى جانب وحدة التطلع أمرين رابطان بين أفراد أمة الإسلام .

مفهوم الأمة الإسلامية:

وفي ضوء ما سبق يعرف البعض الأمة الإسلامية بأنها :

"مجموعة من الناس يعيشون على رقعة جغرافية واحدة ، ومتشابهة التضاريس،تجمع بينهم عوامل مشتركة مثل العرق والدين، واللغة ، والتاريخ ، والثقافة ،و العادات والأخلاق والمصالح المشتركة والأماني السياسية الواحدة ، وبمعنى آخر فإنها وحدة اجتماعية متماسكة لديها الانسجام والرغبة العامة في الحياة المشتركة " .

والواقع إن مثل هذا التعريف لا ينطبق تماما على الأمة الإسلامية ، لكون تلك الأمة لا تعيش على رقعة جغرافية واحدة ، وليس العرق (الجنس) عاملا مشتركا ، لكون الإسلام لكل الأجناس ، وعليه يمكن تعريف الأمة الإسلامية ، والتي تعتبر أكثر شمولا من مفهوم العالم الإسلامي بأنها "قطاع كبير من البشرية آمن بالله رباً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، واتبع ما أنزل عليه وما جاء به " .

وهي أمة باقية ما بقى الإسلام ، فدعوته دعوة عالمية لا تقتصر على أمة دون أمة ، أو بلاد معينة ، فالإسلام لكل الناس ، وهو يرعى مصالح أهله وغيرهم من أهل الذمة .. والمسلمون الذين يزيد عددهم عن المليار نسمة يعيشون على أرض العالم الإسلامي التي تصل مساحتها إلى ما يقرب من ربع مساحة العالم ، ويضاف إلى أولئك المسلمين ما يقرب من ربع عددهم يعيشون كأقليات مسلمة في وسط مجتمعات أخرى .**

المحاضرة الثالثة

أهمية العالم الإسلامي ومقوماته الأساسية

دول وشعوب العالم الإسلامي

عناصر المحاضرة

- مقدمة
- مفهوم العالم الإسلامي.
- العالم الإسلامي – فقهياً
- الدول الإسلامية على الصعيد الآسيوي.
- الدول الإسلامية على الصعيد الإفريقي.
- حاضر العالم الإسلامي.
- السكان وعوامل اللقاء بين المسلمين.
- الانتماء العرقي والعقائدي.
- عوامل الوحدة الإسلامية

مفهوم العالم الإسلامي:

نعني بالعالم الإسلامي الشعوب والدول ذات العقيدة الإسلامية على اختلاف بيئاتها ، ومناطقها ، وتباين ثقافاتها ، وتعدد سلالاتها البشرية .

ويندرج تحت مفهوم العالم الإسلامي أيضاً الأقليات المسلمة التي تعيش في دول غير إسلامية .

والدول الإسلامية هي الدول التي يغلب على سكانها الإسلام كعقيدة ، كأن يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠% من مجموع السكان ، ويتفاوت عدد الدول الإسلامية من وقت لآخر تبعاً للظروف فمثلاً بعد تفكك الاتحاد السوفيتي زاد عدد الدول الإسلامية خمس دول ، ومن ذلك أيضاً ظهور جمهورية البوسنة والهرسك في أوربا ، بعد تفكك يوغسلافيا الاتحادية .

العالم الإسلامي – فقهياً:

والعالم الإسلامي – فقهياً – هو دار الإسلام ، ذلك أن فقهاء المسلمين كانوا قد قسموا العالم إلى قسمين :

١- دار الإسلام ، فدار الإسلام هي الأرض التي تسودها شريعة الإسلام ، وتقام فيها حدوده ، وإن كان جل أهلها من غير المسلمين .

٢-ودار الحرب هي الأرض التي تسود فيها شرائع غير شريعة الإسلام وإن كان جل أهلها من المسلمين .. ولما كانت شريعة الإسلام لا تطبق إلا في ديار قليلة ، فإننا مضطرون الى استعمال مصطلح العالم الإسلامي في معناه الجغرافي .

وتشغل أرض العالم الإسلامي مساحة تزيد عن ٢٥% من مساحة اليابسة في العالم ، ويرجح البعض تلك المساحة بحوالي ٣١ مليون كم٢ . وتمتد من الشرق إلى الغرب بطول حوالي (١٧٠٠٠) كيلو متراً من أدريان الغربية في إندونيسيا على الرأس الأخضر مقابل السنغال في المحيط الأطلسي ، كما تمتد من الشمال إلى الجنوب حوالي (٧٠٠٠) كم ، أي من تركستان الغربية وجنوب الأورال شمالاً إلى موزمبيق جنوباً فهو على ذلك مفهوم جغرافي يشمل الدول التي تسكنها أكثرية مسلمة أو كانت تخضع للمسلمين سابقاً أو كانت ذات أغلبية مسلمة ، والقائمة الموجودة الملحق توضح أسماء بلدان العالم الإسلامي ، ومساحة كل بلد ، وعدد سكانها بما فيهم غير المسلمين ، ونسبة المسلمين حسب أحدث التقديرات .

الدول الإسلامية على الصعيد الآسيوي:

الدول الإسلامية على الصعيد الآسيوي تتمثل في :

(١) المملكة العربية السعودية . (٢) الكويت . (٣) قطر . (٤) البحرين . (٥) الإمارات العربية المتحدة . (٦) اليمن . (٧) إندونيسيا . (٨) العراق . (٩) سوريا . (١٠) لبنان . (١١) فلسطين. (١٢) الأردن . (١٣) إيران . (١٤) تركيا . (١٥) أفغانستان . (١٦) باكستان . (١٧) بنجلادش (١٨) ماليزيا . (١٩) بروناي . (٢٠) سلطنة عمان .

الدول الإسلامية على الصعيد الإفريقي:

والدول الإسلامية على الصعيد الإفريقي تتمثل في :

(١) مصر . (٢) تشاد . (٣) السودان . (٤) النيجر . (٥) ليبيا . (٦) مالي . (٧) تونس . (٨)غينيا . (٩) الجزائر . (١٠) غامبيا . (١١) المغرب . (١٢) السنغال . (١٣) موريتانيا . (١٤) جيبوتي . (١٥) الصومال . (١٦) الجابون . (١٧) الكاميرون . (١٨) جزر القمر . (١٩) توغو . (٢٠) نيجيريا . (٢١) غينيا بياد . (٢٢) سيراليون . (٢٣) أوغندا . (٢٤) فولتا العليا . (٢٥) ساحل العاج . (٢٦) أفريقيا الوسطى . (٢٧) جمهورية الصحراء .

وإلى جانب هذه الدول في آسيا وأفريقيا هناك الأقليات المسلمة في أوروبا وفي آسيا وأفريقيا ، وفي العالم الجديد .

:حاضر العالم الإسلامي

يمر العالم الإسلامي اليوم بظروف عصيبة ، ويقف أمام تحديات وأحداث عظيمة ، وقد تكاثرت عليه الأعداء من داخله وخارجة ، وتتابعت النكبات والمآسي ، ولا يمكن للمسلم المخلص حيالها إلا أن يهتم بأمته ، وبأمرها ، ومن لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ونحن إذ نتعرض إلى أحوال العالم الإسلامي الحاضرة ، وإلى واقعة السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، وإلى بعض قضاياه المعاصرة ، فإنما نرمي إلى تعريف المسلم بعالمه الإسلامي الكبير ، وبقضايا ، وبالتحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، وكيفية تذليلها ، والتعرف على إخوانه في أقطار الأرض ، وعلى مواطن قوة عالمه الإسلامي ، للعمل على المحافظة عليها ، ومعرفة أماكن الضعف والتغلب عليها .

ولقد مرت الأمة المسلمة في أحقاب تاريخها المختلفة بظروف عصيبة تفوق ظروفها الحاضرة حين أغار عليها المغول والتتار ، ثم جاءها الصليبيون في حملاتهم المعروفة ، وتكالب عليها الاستعمار الغربي بعد ذلك ، وقد تجاوزت الأمة كل ذلك ، وكانت تتغلب عليها دائماً حين تعود إلى أصالتها وهويتها ، وتتحصن بعقيدتها ودينها .

وعدد الدول الإسلامية (٦٥) دولة ، تشكل الدول العربية الاسيوية منها (١٢) دولة ، وبها أهم التجمعات الإسلامية ، والدول الإسلامية الأخرى (٥٣) دولة ، وفي الواقع أن مفهوم العالم الإسلامي أكثر اتساعاً من مجموع الدول الإسلامية المعروفة لدينا ، سواء كانت منضمة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي ، أو على طريق الانضمام بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ، أو اليوغسلافي ، فمثلاً هناك دول لم تشترك بعد في منظمة المؤتمر الإسلامي ، ومنها أرتيريا ، أذربيجان ، ألبانيا ، أزبكستان ، تركمانستان ، طاجيكستان ، قرغيزستان ، كازاخستان ، والبوسنة والهرسك .

كما أن هناك أقليات إسلامية في أماكن متعددة من العالم ، وتقدر نسبة تلك الأقليات المسلمة بحوالي ٣٢% من المسلمين في العالم ، أي ما يزيد عن ٢٠٤ مليون مسلم ، وغالبيتهم يعيشون في قارة آسيا حيث يوجد المسلمون في الهند والصين والاتحاد السوفيتي السابق .

السكان وعوامل اللقاء بين المسلمين :

من الصعب إعطاء أرقام دقيقة عن عدد سكان العالم الإسلامي ، والأعداد الموجودة لدينا أعداد تقريبية ، وهذا يعود للأسباب الآتية :

١- غياب الإحصاءات السكانية الدقيقة التي تشمل الانتماء الديني .

٢- عدم إفصاح الدول عن نتائج التعدادات السكانية خاصة انتماءات السكان الدينية ، لكون ذلك يمس التوازنات السياسية بها(احيانا) .

٣- عدم توافر الوعي الإحصائي لدى السكان ، فكثيرا ما يتهرب الناس من قيد أنفسهم في بيئات التعدد خوفا من هذا الأمر أو ذاك مثل خوفهم من التجنيد ، أو من الضرائب ، أو غير ذلك من الأسباب ، وهذه كلها تؤثر على مصداقية التعداد.

٤- عدم توافر الإمكانيات اللازمة للقيام بالتعداد السكاني ، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية ، التي تعتمد في تعدادها على التقديرات.

٥- اعتماد بعض التعدادات أساس العينة ، وقد يتم استبعاد المسلمين من العينة، وخاصة إذا كانت الدولة تريد أخفاء أعداد المسلمين الحقيقية ، كما حصل في أثيوبيا عام ١٩٧٠م.

٦- وجود المشكلات العرقية والدينية في عدد من البلاد الإسلامية ، مما تؤثر على نتيجة التعداد وقيمته الفعلية ، إذ أن المجوعات الدينية والعرقية تضخم حجمها في التعداد ، وهذا ما حصل فعلا في نيجيريا بعد الاستقلال عام ١٩٦٣م ، وفي لبنان عام ١٩٣٢م عندما أجري التعداد السكاني الذي على أساسه سيحدد توزيع الوظائف الدستورية وغيرها.

٧- عدم توافر إحصاءات دقيقة للأقليات المسلمة لأسباب عديدة ، كما أن عملية التحول إلى الإسلام عملية مستمرة.

ولذا أصبح من العسير التوصل إلى تعداد دقيق لسكان العالم الإسلامي، كما أننا نجد أن نسبة السكان المسلمين في مختلف دول العالم تتفاوت تفاوتا كبيرا تبعا لنوعية المصادر ، فالمصادر الأجنبية تقلل من أعدادهم ، في حين أن بعض المصادر الإسلامية تضخم في أعدادهم ، فعلى سبيل المثال قدرت المصادر الأجنبية أن نسبة المسلمين في الغابون (١٠%) ،في حين قدراتها المصادر الإسلامية بـــ(٤٠%) ، وعليه فالاعتماد على الإحصاءات الرسمية والتقديرات السكانية عملية لا تخلو من بعض المخاطر.

ورغم هذه المصاعب فيمكن القول أن عدد المسلمين في العالم اليوم يزيد على ألف ومائتي مليون نسمة ، أي أنهم يزيدون عن ٢٥% من سكان العالم ، ويتركزون في آسيا وأفريقيا ، ففي آسيا يوجد حوالي ٧٠% من مجموع المسلمين في العالم ، وأفريقيا ٢٦% ،وفي بقية القارات ٤% ، وعدد المسلمين في الدول العربية يمثلون نحو١٦،٢% من إجمالي عدد المسلمين ، وجل المسلمين من أهل السنة ويؤلفون حوالي ٩٣% ، بينما يبلغ الشيعة ٦% ، وهم بهذا العدد طاقة بشرية هائلة ، لو فطنت لذاتها ، وأحسن الاستفادة منها.

الانتماء العرقي والعقائدي:

على الرغم من أن المسلمين ينتمون إلى عدد من المجوعات العرقية والقومية ، كالمجوعة العربية ، والمجوعة الإيرانية ، والمجموعة الأفغانية مثلا، إلا أن العالم الإسلامي الذي يعيشون فيه يشكل وحدة متماسكة ، وكتلا متقاربة يمكن أن تتحقق فيها عوامل الوحدة الإسلامية بداية لقيام الوحدة الكبرى ،وأشهر هذه المجوعات هي:

١_ مجوعة الدول العربية أو الكتلة العربية ، ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي (٧٤١) مليون نسمة ، أي بنسبه ١٦،٢% من مجوع سكان العالم الإسلامي.

٢_الكتلة الإيرانية ، الأفغانية ، الباكستانية الكشميرية البنغالية ، وسكانها حوالي مئتي مليون نسمة ، أي بنسبة ٢٢% من المسلمين في العالم .

٣_ الكتلة الإندونيسية الماليزية ، وتضم دولتي إندونيسيا ، واتحاد ماليزيا ، والمسلمون فيها حوالي ٣٢١ مليون نسمة ، أي بنسبة ١٣،٥% من مجموع سكان العالم الإسلامي.

٤_ الكتلة الأفريقية ، وتشمل دول النطاق الصحراوي ، ودول شرق أفريقيا ، والمسلمون فيها حوالي ١٧٨ مليون نسمة ، أي بنسبة ١٩،٦% من مسلمي العالم.

٥_ الكتلة التركية القوقازية ، وتشمل تركيا ، والجمهوريات والولايات في مرتفعات القوقاز ، وهي :أذربيجان ،داغستان ، شاشان ، أنجوشيا ، أوستينا ، قرنشاي ، الأوديجا ، والمسلمون فيها حوالي ١١٠ مليون نسمة ، أي بنسبة ١٢% من مسلمي العالم.

٦_ الكتلة التركستانية ، وتسكنها العناصر المغولية التركية ، وهي مقسمة إلى :

أ_ الأقاليم التابعة للصين ، وعدد المسلمين فيها حوالي ١٨ مليون مسلم.

ب_ الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي (السابق) ، وهي : أوزبكستان ، طاجكستان ، تركمانيا ،قزقستان ، قرغيزيا ، نتاريا ، الجوفاش ، وعدد المسلمين فيها حوالي ٣٩ مليون مسلم .

والمسلمون في هذه الكتلة التركستانية حوالي ٥٧ مليون مسلم ، أي حوالي ٦،٥% من مجوع السكان المسلمين في العالم .

عوامل الوحدة الإسلامية:

يفصل بين المسلمين اليوم الحدود السياسية ، والفرقة الاجتماعية والاقتصادية ، بسبب الاستعمار الذي أصاب العديد من دول العالم الإسلامي ، ومع ذلك فهناك عوامل كثيرة لا تزال _ إلى حد كبير _ تؤلف بينهم ، وتربط بين أقطارهم ، ومن أهمها :

١_ الدين الإسلامي: فقد جعل الإسلام من المسلمين أمة واحدة من دون الناس ، وتجتمع على كتاب الله العزيز، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآل وسلم ، وعلى ثوابت عقدية لا تتغير ولا تتبدل ، وكانت هي أساس المجتمع الإسلامي الذي ضم شعوبا وأمما مختلفة ، انصهرت في بوتقة الإسلامية ، وأقامت وحدتها على أساس عقيدتها الإسلامية الواحدة.

٢_ اللغة العربية لغة القرآن :

كذلك تجمع بين المسلمين لغة واحدة ، هي العربية ، لغة القرآن الكريم ، فهي لغة الإسلام التي تدعوهم إلى حبها ، وتعلمها رغبة في فهم شرائع دينهم الحنيف الواردة في كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وآل وسلم ، فكانت لغة العلم والثقافية والتأليف تعلمها وكتب بها علماء المسلمين ، كما كانت لغة الحديث و التعامل ، وبذلك صارت العربية لغة المسلمين في شتى أقطارهم .

٣_ التاريخ الإسلامي المشترك :ويجمع بين المسلمين بالإضافة إلى ذلك مشاعر وأهداف واحدة ، إذ أنهم تعرضوا جميعا لأوضاع متشابهة ، وتحديات تكاد تكون واحدة ، فهم يشتركون في كثير من الآمال والآلام .

أما ملايين المسلمين الذين يعيشون أقليات خارج حدود العالم الإسلامي فيعانون من مشاكل عدة ، ولكنهم ظلوا دائما يشعرون بانتمائهم إلى أمة الإسلام وبهويتهم الإسلامية ، وأنهم جزء لا يتجزأ من الكيان الإسلامي ، وتلوح في الأفق الآن تباشير تضامن بعض الدول والمنظمات الإسلامية معهم ، حيث بدأت تهتم بأمورهم ، وتعقد المؤتمرات والندوات لمناقشة ، ومحاولة إيجاد الحلول لمشاكلهم ، ومن تلك الجهود جهود منظمة المؤتمر الإسلامي ، ورابطة العالم الإسلامي ، والندوات العالمية للشباب الإسلامي ، وجهود بعض الجامعات والمؤسسات الأكاديمية . **

المحاضرة الرابعة

ضعف العالم الإسلامي

عناصر المحاضرة

- مقدمة
- ضعف العالم الإسلامي .
- عوامل ضعف العالم الإسلامي .
- ١- الغزو المغولي (التتري) .
- ٢- موقف اليهود من الإسلام .
- ٣- الحركة الصهيونية .
- ٤- الحروب الصليبية

ضعف العالم الإسلامي

واجه الإسلام كثيراً من التحديات من أول ظهوره ، وتعرض لكثير منها – داخلية وخارجية – أثناء مسيرته ، ولكنه بقى واستمر وانتشر ، وظل ينتشر حتى يومنا هذا ، فالإسلام في الوقت الحاضر جبهة عريضة زاحفة ، وما استطاعت الأزمات والمصاعب أن تقضي عليه ، وإنما تغلب عليها كلها رغم ما أصابه وأصاب أهله من جراح ، واستمر الحال كذلك إلى أن دخل الوهن والزيغ إلى قلوب المسلمين ، فتغيرت أحوالهم وأصابهم الضعف ، وانتقل الإسلام وأهله من مواقع القيادة والريادة إلى موضع التبعية والهوان ، وكان وراء ذلك كله عوامل داخلية وخارجية ، أثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه التليد إلى حاضره الأليم .

عوامل ضعف العالم الإسلامي :

هناك خلاف وجدل بين المفكرين المسلمين ، والمهتمين بأمر الأمة الإسلامية ، حول تحديد الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين وضعفهم ، فقد رد أصحاب الدعوات والحركات الإصلاحية السلفية سبب تأخر المسلمين إلى ابتعادهم عن تعاليم دينهم الصحيحة ، وشيوع البدع والضلالات بينهم ، ثم إلى تشتتهم إلى فرق تصارع وتنازع بعضها بعضاً ، فتبددت طاقتهم المادية والفكرية ، وتمكن منهم عدوهم ... ويرى أصحاب هذا الرأي(الحلول) أن الرجوع بالإسلام إلى ماضيه التليد لن يكون إلا بالرجوع إلى صفاء الإسلام الأول ، وذلك لن يكون إلا بتنقية الدين من البدع والشوائب التي ألمت به ، وباعدت بين المسلمين وبين جوهر الدين الصحيح .

أما عن أصحاب الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي ، فقد أشار جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده أن سبب تأخر المسلمين يرجع إلى عزوفهم عن الأخذ بالمفيد من أساليب الحضارة الغربية ، وبالذات بالجانب التقني منها مع النهي والبعد في نفس الوقت عن التقليد الأعمى للغرب وحضارته ، خاصة في جوانبها الفكرية والثقافية .

أما الرأي الآخر الذي لا يمثل وجهة النظر الإسلامية الصحيحة فهو ما قال به بعض العلمانيين ممن يزعمون أنهم من مسلمين ونصارى العرب أن سبب تأخر المسلمين راجع إلى التعصب الديني ، وإلى عدم مواكبة الإسلام لروح العصر ، وغير ذلك من الترهات والأباطيل التي لا يرضاها مسلم غيور على دينه .

أما الأمير شكيب أرسلان ، الذي يمثل رأي الحادبين على مصلحة الإسلام والمسلمين فيُرجع تأخر المسلمين إلى أسباب عدة ، مثل الجهل والعلم الناقص ، وعدم الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام ، والتخلق بأخلاقه السمحة ، ثم كذلك ضياع الإسلام بين الجامدين من علمائه ، والجاحدين عليه ... وهناك آخرون يعددون أسباباً أخرى بعضها سياسي ، مثل الانقسام السياسي لدولة الإسلام ، وبعضها أخلاقي تربوي ، مثل غياب حرية الفكر ، وتعميم المعرفة .

وكل هذه العوامل التي عددها أولئك الباحثون هي في الواقع عوامل داخلية ، ولعل معظمها ينحصر في ضعف التمسك بالعقيدة الإسلامية ، الأمر الذي أفقد المسلمين عنصر من عناصر وحدتهم وريادتهم ، وجعلهم يجهلون ثوابت عقيدتهم الإسلامية ، التي بها ساد المسلمون الأولون ، فتخلى بعض المسلمون اليوم عن الحكم بما أنزل الله ، وطبقوا الشرائع المدنية الوضعية بدلاً عن شرعهم الإسلامي ، فساد الاضطراب ، وفسدت الحياة ، فوقعت المجتمعات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها تحت سيطرة أعداء الإسلام ، الذين عملوا على زيادة تشتت المسلمين وبث الأفكار الباطلة والهدامة بينهم ، فتصدع البنيان الإسلامي ، وتفرق المسلمون طوائف ونحلاً متفرقة متنافرة متحاربة .

١- الغزو المغولي (التتري) :

وما أدى إليه من تفكك الخلافة الإسلامية ، خاصة وأن تلك الخلافة كانت قد شهدت انقساماً سياسياً حاداً ، فقد شهد القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، ظهور ثلاثة خلفاء في العالم الإسلامي : الخليفة العباسي في بغداد ، والخليفة الفاطمي في مصر ، والخليفة الأموي في الأندلس ، فكان أن تصدعت الوحدة الإسلامية ، فضعف العالم الإسلامي في مواجهة أعدائه ، ومن أولئك المغول والصليبين..

.. وكانت أحوال الخلافة العباسية من الضعف بمكان بحيث استطاع هولاكو الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام ، فأحدث فيها الخراب والدمار ، منهياً بذلك الخلافة العباسي في بغداد ، ثم تقدم نحو الشام ، فأحدث فيها ما فعله في العراق ، فسقطت له دمشق في عام ٦٥٧ هـ ، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنية ، وأفرنجية حباً في التشفي والانتقام من المسلمين ، فنظموا مواكب عامة ، وحملوا الصلبان ، وأخذوا يذمون الإسلام وأهله ، وأجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراماً لمواكبهم ، وبلغ بهم الحد أن شربوا الخمر في رمضان ، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات ، وهكذا ذُل الإسلام وأهله على أيدي المغول وحلفائهم النصارى حتى قيض الله للمسلمين المماليك في مصر الذين استطاعوا الوقوف أمام هذا الخطر ، وردوا المغول على أعقابهم ، فهزموا جحافلهم في معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م ، بعد أن كان المغول قد أسهموا في ضعف العالم الإسلامي وفي إنهاكه .

٢- موقف اليهود من الإسلام:

فهناك عوامل تعود في أصلها إلى اليهود وموقفهم العدائي من الإسلام منذ ظهوره وحتى يومنا هذا ، وعدائهم للإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة ، بل في الجزيرة العربية كلها ، أمر تزخر به كتب السيرة والتاريخ ، فهناك مؤامراتهم ضد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ومحاولاتهم وقف الدعوة الإسلامية ، ببث الفرقة والخلاف بين المسلمين من جهة ، وبينه وبين أهل المدينة من جهة أخرى ، ثم نقضهم للعهود المبرمة معهم ، والصد عن الإسلام بشتى الوسائل .. بل إن عداءهم للإسلام وأهله استمر حتى عصرنا هذا ، وتمثل في موقفهم ودورهم في إسقاط الخلافة العثمانية (كما يرى البعض) ، وكذلك في الحركة الصهيونية ، وما قامت به من استلاب لأراضي فلسطين ، وتشريد أهلها ، ثم ماتقوم به من اعتداءات على الدول العربية والإسلامية المجاورة ، وعلى الحركات الإسلامية في تلك البلاد .

٣- الحركة الصهيونية:

وتشكلت هذه الحركة التي تهدف إلى تجميع يهود العالم في كيان صهيوني في فلسطين استناداً على مزاعم دينية وتاريخية باطلة . وعلى استلاب الأراضي العربية لإقامة دولتها الكبرى التي تمتد من الفرات إلى النيل . تشكل تحدياً رئيسياً للإسلام والمسلمين ، لا يقل عن التحدي الصليبي الذي واجهه المسلمون ، ولا يزالوا يواجهونه حتى اليوم .

ويتمثل الخطر الصهيوني في ارتباط الصهيونية بالاستعمار . وتعاونها معهم بغرض تمزيق وحدة العرب والمسلمين ، والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا وأفريقيا .. وكذلك محاولة إتمام الغزو الثقافي للعالم الإسلامي بتدمير كل قيمه وأنظمته وأخلاقه ، وإحلال أسلوب الإلحاد والإباحية والتسلط ، ثم بثها للفكر الماسوني المرتبط بها ، وذلك في محاولة لتدمير الدين. وللتنفيذ ما جاء في التوراة المحرفة من إقامة دولة إسرائيل الكبرى ، وفرض الهيمنة اليهودية والماسونية من أشد الأخطار التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم ، إذ أنها تعمل في الخفاء ، وتبث سمومها بين أبناء المسلمين بأساليب ماكرة ملتوية قد لا يدركها الكثير من شباب المسلمين المثقف .

٤- الحروب الصليبية:

وهي إحدى مظاهر عداء الغرب الصليبي للإسلام وأهله ، ولعلها التحدي الأكبر والذي واجهه العالم الإسلامي في القرون الوسطى ، والذي استغل ظروف الانقسام التي كان يمر بها ، فحاولت زرع كيان صليبي غريب في قلب ذلك العالم ، فكانت أول تجربة للاستعمار الغربي الحديث في الأراضي الإسلامية المقدسة ، فانتزعت بعض أراضيه وأقامت فيه ممالكها وإماراتها الصليبية ، وأدخلت ذلك الجزء من عالم الإسلام في دوامة حروب وصراع استنفذ جهوده ، وموارده الاقتصادية والبشرية ، مما أدى إلى الانهيار الذي تعرض له في أواخر القرون الوسطى .

وكانت الحروب الصليبية (سنة ١٠٩٩ م – سنة ١٢٥٤ م) في حقيقتها وسيلة لاستعمار الشرق الإسلامي والقضاء على الإسلام تحت شعار الدين ، وقد سبقها تمزق الوجود الإسلامي في الأندلس ، وتفرق حكامه ، ورجحان كافة الحكام النصارى عليهم ، وبدأت حروب الإسلام وأهله في حروب صليبية لا تقل شراسة عن الحملات الصليبية التي ستتوجه إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ، وبدأت عمليات تفتيت المسلمين مادياً ومعنوياً بصورة بطيئة ، مع تجردهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم .. وتم عزل الأندلس عن قاعدته في المغرب الإسلامي ، ولكنه بالرغم من ذلك بقي يقاوم على مدى قرون عديدة ، إلى أن سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م بيد فرديناند وإيزابيلا ، فاغتصبت أرض الأندلس الإسلامية وأزيل الوجود الإسلامي منها تماماً وبشتى السبل ، وقد عانى المسلمون فيها معاناة قاسية ،

كما عانى إخوانهم في المشرق عندما تدفقت عليه جموع الصليبيين ، فاستولوا على عاصمة الأتراك السلاجقة المسلمين في نيقية سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م وكونوا في بلاد الشام ، وآسيا الصغرى ، إمارة الرها ، إمارة إنطاكية وإمارة طرابلس ، ومملكة بيت المقدس اللاتينية عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ، وضرب الصليبيون آنذاك مثالاً للحقد على الإسلام والمسلمين ، فاتسم الغزو بروح التعصب ، والانتقام ، فقد سفكوا دماء المسلمين في الرها ، وإنطاكية ، وطرابلس ، وبيت المقدس ، ومن ذلك سفك دماء حوالي سبعين ألف مسلم أو يزيد في ساحة المسجد الأقصى من العلماء ، والطلاب والعباد ، والزهاد، وعملوا مثل ذلك في مدن المسلمين التي اجتاحوها ، ففي ((المعرة)) قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلى الجوامع ، فأهلكوا ما يزيد عن مائة ألف إنسان في أكثر الروايات .

وهكذا استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق ، استنزاف جميع القوى البشرية ، والمادية في منطقة الشام ومصر ، فضعفت أوضاع المسلمين الاقتصادية ، وتناقصت الثروة ، بالإضافة إلى الخراب والدمار الذي حل بالمسلمين وبخاصة في الشام ، ومصر ، وآسيا الصغرى ، وتونس ، والأندلس ، كما أن تلك الحروب كانت مقدمة للاستعمار الأوروبي الحديث ، ولكل ما نتج عن ذلك الاستعمار من آثار سلبية في كل أنحاء العالم الإسلامي ثقافياً ، وسياسياً ، واقتصادياً ، واجتماعيا ** .

المحاضرة الخامسة

عوامل ضعف العالم الإسلامي

عناصر المحاضرة

- مقدمة....
- الاستعمار الأوروبي.
- حركتي الاستشراق والتنصير.
- دعوات الإلحاد الآتية من خارج العالم الإسلامي.
- نتائج ضعف العالم الإسلامي :
- ثانياً : إلغاء الخلافة العثمانية وانحلال الوحدة الإسلامية .

٥- الاستعمار الأوروبي:

فقد بدأت حركة التوسع الأوروبي أول ما بدأت كنتيجة لحركة الكشوف الجغرافية التي بدأت في القرن الخامس عشر الميلادي ، والتي كانت ترمي إلى تطويق العالم الإسلامي اقتصادياً وعسكرياً بهدف إضعافه والسيطرة على تجارة الشرق التي كان المسلمون هم القائمون بأمرها ، وتحويل تلك التجارة – عن هذا الطريق الجديد – إلى أيدي البرتغاليين وغيرهم من الأوروبيون حرماناً للتجار المسلمين منها ، وللدول الإسلامية المستفيدة – كمصر مثلاً – من ريعها وفوائدها الاقتصادية ، بل إننا نذهب أبعد من ذلك ، فنقول إن الروح الصليبية الرامية إلى ضرب المسلمين ضربة أخيرة ، والقضاء على الإسلام قضاء مبرماً كانت بادية وواضحة في حركة الكشوف الجغرافية ، فقد كان قادة البرتغال مدفوعين بتلك الحروب الصليبية ، حيث إنهم اعتبروا أنفسهم مكلفين بالثأر للحملات الصليبية الفاشلة ،

فكان هدفهم مزدوجاً : انتزاع تجارة التوابل والبهارات من أيدي المسلمين ، وتطويق العالم الإسلامي استراتيجياً واقتصادياً كخطوة أولى نحو إضعافه ، وإحلال النصرانية محل الإسلام فيه ، وقد تمكنوا بالفعل من تحويل طريق التجارة عن بلاد الشام والبحرالمتوسط ، إلى المحيطات الكبرى : الأطلسي والهندي والهادي ، فأدى ذلك إلى إضعاف تجارة المسلمين ، وصناعتهم ، وزراعتهم ، وأخيراً إلى ضعفهم الاقتصادي والعسكري والسياسي ، الأمر الذي مهد إلى فرض الهيمنة الأوروبية عليهم ، والتي أدت في نهاية الأمر إلى مرحلة الاستعمار الأوروبي الحديث على معظم بلدان العالم الإسلامي .

وقد اتخذ هذا الاستعمار الحديث أشكالاً عدة منها الاحتلال العسكري ، والهيمنة الاقتصادية عن طريق الشركات ، والقروض والاحتكار .. إلخ ، واتخذ كذلك شكل الحماية ، والانتداب والوصاية ، ولعل أهم أنواع هذا الاستعمار الحديث والمعاصر وأدومها ، وأكثرها خطراً ، فهو الاستعمار الفكري الذي لا يزال العالم الإسلامي يعاني من ويلاته .

وقد تنافست الدول الأوربية في استعمار العالم الإسلامي ، فمثلاً استعمرت بريطانيا ماليزيا ، وشبه القارة الهندية ، وسواحل الخليج العربي ، وجنوب الجزيرة العربية ، ومصر ، والسودان،ثم العراق ، وشرقي الأردن وفلسطين ، وبعض البلدان الأفريقية التي تضم أكثريات إسلامية مثل نيجيريا ، وتنزانيا ، ودول أخرى مثل غانا ، وأوغندة ... الخ ، واستعمرت فرنسا العديد من بلدان العالم الإسلامي مثل المغرب ، والجزائر ، وتونس ، ثم سوريا ولبنان ، وموريتانيا وتشاد ، ومالي ، والسنغال ، وغيرها ، واستعمرت إيطاليا ليبيا ، وجزءاً من الصومال وأرتيريا ... واستعمرت أسبانيا الريف المراكشي ، والصحراء المغربية ، وإقليم مورو الإسلامي في الفلبين.

وأما هولنده فاستعمرت إندونيسيا وسيطرت روسيا على تركستان الغربية ، والأراضي الإسلامية في آرال ، وشبة جزيرة القرم ، وبلاد القفقاس (القوقاز) ، وامتد نفوذها حتى شمالي إيران ، وهكذا وقعت معظم العالم الإسلامي تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي الإمبريالي ، العسكرية ، والسياسية ، الاقتصادية ، والثقافية ، وكان لهذه السيطرة نتائج مدمرة أثرها باق معنا حتى الآن ، كما له دوراً أسياسياً وفاعلاً في إضعاف الإسلام والمسلمين .

٦- حركتي الاستشراق والتنصير:

وما تقومان به من هدم فكري ثقافي في أوساط المسلمين ، بهدف طمس هويتهم ، وإحداث أزمة ثقة بالنفس في أوساطهم (وسيأتي الحديث لاحقاً عن كلا الحركتين) .

٧- دعوات الإلحاد الآتية من خارج العالم الإسلامي:

كالشيوعية مثلاً ، والتي تبث سمومها بين أفراد الأمة الإسلامية ، كالقاديانية ، والبهائية وغيرهما ، وكلها ترمي إلى هدم العقيدة الإسلامية ، ومن ثم إلى فك عرى وحدة المسلمين ، بغرض إضعافهم ، وتمهيد السبيل لسيطرة المستعمرين عليهم .

نتائج ضعف العالم الإسلامي :

لقد تكالبت كل هذه العوامل على تنوعها في إضعاف العالم الإسلامي، واتخذ هذا الضعف عدة مظاهر ، منها :

أولاً : الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية :

بضعف العالم الإسلامي تخلى المسلمون عن دورهم الريادي في قيادة البشرية ، وتخلوا عن واجباتهم وتبعاتهم الإسلامية ، وقعدوا عن إعمال العقل ، ففترت فيهم روح الاجتهاد ، وركنوا إلى التبعية والتقليد ، وانقطعت صلتهم بماضيهم وإرثهم الإسلامي ، وشملهم الجمود ، وقلت فيهم روح التجديد والإبداع ، بل دار علماؤهم حول ذلك الماضي ، وعكفوا على نصوص الماضين ، وعلى كتبهم يعجبون بها ، ولا يتعلمون منها ، ويقفون عاجزين أمامها ، ينزلونها أحياناً منزلة العصمة والقداسة ، فماتت في الأمة روح الإبداع والابتكار ، ومواكبة العصر ، ومواجهة تحدياته .

وعندما بدأ العالم الإسلامي يفيق من غفوته ، وينفض عنه غبار الجمود منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، نتيجة للحركات السلفية الإصلاحية ، كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ، والحركة السنوسية في ليبيا ، والحركة المهدية في السودان ، والحركات السلفية في الهند ، وحركة عثمان دان فوديو في غرب أفريقيا – في ذلك الوقت كان الاستعمار الغربي قد بدأ يمد سيطرته على عالم الإسلام ، مستعيناً بحركات التنصير ، فاشتد التحدي، ولم شعث المسلمين ، وبث الحياة من جديد في أوساطهم ، وإعادة الثقة إلى نفوسهم ، وكان نجاحها محدوداً في مناطق محدودة .

وقد بدأ الاستعمار حربه ضد الإسلام والمسلمين بإبعادهم عن تراثهم الفكري الإسلامي ، فبدأ بالشريعة الإسلامية ، فأبعدها عن كافة مناحي الحياة الفعلية ، وأخذ يشوه معالمها فكرياً ليصرف المسلمين عنها ، وقد عمل فعلاً على إلغائها تدريجياً ، واستبدالها بالقوانين الوضعية ، باستثناء قانون الأحوال الشخصية ، فعل ذلك في الهند عندما تمت له السيطرة على تلك البلاد ، وألغاها في السودان حينما قضى على الثورة المهدية في عام ١٣١٧ / ١٨٩٩ م ، وكذلك فعلوا في كل مستعمراتهم الإسلامية – الآسيوية منها والأفريقية ولم يقف الحال عند هذا الحد بل امتد تآمر الاستعمار الغربي إلى طمس معالم الحكم الإسلامي في الدولة العثمانية ، وامتدت حركة استبدال الشريعة الإسلامية بقوانين وضعية أخرى إلى مصر ، وذلك منذ أن دخلها نابليون غازيا ومستعمراً في عام ١٧٩٨ م ، واستمرت حركة التبديل والتحديث – كما أسموها – على عهد محمد علي وأبنائه ، واكتملت حلقات التآمر على الشريعة عندما احتل البريطانيون مصر عام ١٨٨٢ م ،

وكذلك كان حال بلاد الشمال الأفريقي تحت حكم الاستعمار الفرنسي ، ففي تونس طبق القانون الوضعي المقتبس من القوانين الفرنسية عام ١٣٣٣ م / ١٩٢٤ م ، ولم يكن الحال في المغرب والجزائر بأسعد منه في تونس ، حيث بدأت فرنسا في تعطيل أحكام الشريعة في كلا البلدين ، وإحلال الأعراف البربرية ، والقبلية محل القوانين الشريعة الإسلامية ، كوسيلة للقضاء على الكيان المغربي ، والهوية الإسلامية في المغرب والجزائر ، وربما أخرج القبائل البربرية من الإسلام ، لأن الفرنسيين كانوا موقنين أن التخلي عن التحاكم لغير الشريعة الإسلامية هو في الواقع تخل نهائي عن الإسلام .

وهكذا أبطل العمل بالشريعة الإسلامية في معظم البلاد الإسلامية التي وقعت فريسة للهيمنة الاستعمارية ، وزج العمل بها في زاوية ضيقة هي زاوية الأحوال الشخصية ، والتي يحاول العلمانيون والمتغربون من أبناء الأمة الإسلامية إبطال العمل بها ، وقد نجحوا في ذلك في بعض البلدان الإسلامية .

ثانياً : إلغاء الخلافة العثمانية وانحلال الوحدة الإسلامية :

الدولة العثمانية هي آخر دول الإسلام الكبرى التي عرفها العالم في عصوره المتأخرة امتدت على ثلاث قارات : آسيا ، وأوروبا ، وأفريقيا ، وحمت الإسلام في وقت كان فيه الصليبيون والبرتغاليون يهددونه من جهة الجنوب الشرقي ، والروس من جهة الشمال ، كما أن الدولة العثمانية حملت راية الإسلام إلى منطقة البلقان ، وأزالت الدولة البيزنطية من الوجود حين فتحت عاصمتها القسطنطينية في عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م والتي استعصت على المسلمين ما يربو على الثمانية قرون ، وهكذا جُعلت القسطنطينية عاصمة لدار الإسلام ، وحمل سلاطينها العظام الإسلام حتى أبواب فينا عاصمة إمبراطورية الهابسبرج آنذاك ، وحملوا أيضاً إلى جنوب روسيا ، وساحل بحر الأدرياتيك ، وبجهودهم عم الإسلام ما يعرف اليوم بدول أوروبا الشرقية ، بل إنهم هددوا أوروبا الغربية ذاتها حينما حاصروا فينا مرتين ، وفينا كانت هي بوابة أوروبا الغربية من ناحية الشرق ، ولو سقطت لهم لانفتح الباب أمام الإسلام ، فعم معظم أجزاء أوروبا الغربية وربما وصل حتى أصقاع اسكتلندا الشمالية كما توقع أحد المستشرقين .

ظلت الدولة العثمانية هي القوة الحارسة للعالم الإسلامي لفترة أربعة قرون كاملة ، فقد حفظت للشمال الأفريقي إسلامه عندما وقفت ضد أطماع الصليبيين الأسبان ، الذين حاولوا استعماره بعد أن قضوا على الدولة الإسلامية في الأندلس .. كما أن السلاطين العثمانيين جعلوا من البحر الأحمر بحر إسلامياً ، وحرموا على السفن النصرانية الملاحة فيه ، وذلك لإطلالته على الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز ، كما أنهم حاولوا – مع الدولة المملوكية – صد الخطر البرتغالي عن ذلك البحر ، عندما بدأ البرتغاليون يبسطون نفوذهم على بعض سواحله ، في محاولاتهم الهيمنة على تجارة الشرق (تجارة التوابل إلخ) التي كانت في أيدي التجار المسلمين ، .

ولقد كان لجهود الدولة العثمانية تلك وغيرها من الجهود الفضل الأكبر في حفظ قلب العالم الإسلامي من الزحف الاستعماري الصليبي الأوروبي لمدة ثلاث قرون ، ظلت خلالها دعوة الإسلام تواصل انتشارها في أنحاء العالم وبخاصة في جنوب آسيا ، وجزر الهند الشرقية ، والشرق الأقصى ... ويجب أن لا ننسى هنا مواقف وجهود السلطان عبد الحميد الثاني من المطامع الصهيونية في فلسطين ، ورفضه السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين رغماً عن إغراءاتهم المالية له في وقت كانت الدولة .العثمانية تعاني من ضائقة اقتصادية خانقة

ومهما قيل عن الدولة العثمانية من جانب بعض الكتاب القوميين – العرب ، والعلمانيين ، السائرين في ركاب المفاهيم الغربية ، من أنها دولة استعمارية أخضعت الشعوب بالقسر والقوة ، وكبتت الحريات إلى غير ذلك من المساوئ التي يعددها أولئك المنساقون وراء كتاب الغرب ، إلا أن الثابت تاريخياً الآن هو أن تلك الدولة العثمانية ذادت عن حمى الإسلام وأسست خدمات جليلة له وللمسلمين على امتداد تاريخها ، وتكفي الإشارة إلى أنه في كنفها تحقق لجزء كبير من العالم الإسلامي وحدة إسلامية لم يشهدها في عصوره الحديثة ، فقد ظلت المنطقة من العراق شرقاً إلى مراكش غرباً تنعم بالوحدة ، والهدوء والاستقرار ، وظل المسلمون أعزاء في ديارهم تلك ، وظلت الخلافة العثمانية قوة يهابها أعداء الإسلام ، ويحسبون لها ألف حساب.

ولقد حاولت أوروبا إيقاف الخطر العثماني ، ووضع حد للفتوحات العثمانية بعقد تحالفات بين بعض دولها ، بل ومحاربة العثمانيين مرات عديدة ، إذ كانت أوروبا تخشى أن تتكرر أحداث التاريخ فيعود للمسلمين مجدهم وعزهم في ظل الخلافة العثمانية التي تجسدت فيها وحدتهم ، فظلت تعمل من أجل القضاء على الخلافة بسبل دبلوماسية أحياناً ، وحربية أحياناً أخرى.

وقد أدى هذا الصراع المستمر بين الدولة العثمانية وأعدائها الأوروبيون – إلى جانب عوامل اقتصادية وسياسية داخلية وخارجية – إلى ضعفها ، وبداية تدهورها ، الأمر الذي أدى إلى ظهور ما عرف " بالمسألة الشرقية " ، والتي كانت تعني ببساطة طرد العثمانيين من ولاياتهم الأوروبية ، كخطوة أولى في عملية تحجيم الخطر الإسلامي ، والقضاء قضاء مبرماً على الخلافة العثمانية ، والتي ما فتئت دول أوروبا تتكالب عليهما ، وتعمل على إضعافها حتى جعلت منها ما أسمته في النهاية " برجل أوروبا المريض " والذي كانت تسعى جاهدة إلى قتله ، والاستيلاء على أراضيه كلها .

ويمكن القول بأن الفترة التي أعقبت السلطان عبد الحميد وتولي الاتحاديين للحكم هي الفترة التي تمكن فيها الاستعمار ورجال الحكم العثماني (الاتحاديين) على العمل التدريجي لتصفية الدولة العثمانية ، فقام الاتحاديون بإتباع سياسات قومية طورانية باعدت بينهم وبين عناصر الولاء من المسلمين ، من عرب وألبان وغيرهم ، وحلت عرى الوحدة الإسلامية التي كانت تجمع شتى رعايا الدولة ، كما أنهم قاموا بإضعاف الخليفة ، فجعلوه رمزاً أشبه بأسير في أيديهم ، وكذلك مكنوا للقوى الأوروبية الطامعة في دولتهم ، وانساقوا وراء مخططاتها الرامية إلى إزالة الخلافة العثمانية مصدر وحدة المسلمين وقوتهم ، ومصدر خوف أوروبا وقلقها .

وكان بداية التآمر على الخلافة يوم أن أعلنت الجمعية الوطنية التركية في عام ١٣٤١ / ١٩٢٣ م قيام الجمهورية في تركيا ، وانتخبت مصطفى كمال أول رئيس لها ، ففصلت بذلك بين السياسة وبين الخلافة ، وجعلتها رمزاً دينياً لا غير ، الأمر الذي مكن مصطفى كمال – بمساندة بعض القيادات التركية العلمانية نهائياً في ٢ مارس ١٩٢٤ م / ١٣٤٢ هـ ، مقدماً بذلك أعظم هدية للغرب الأوروبي النصراني ، وقد أثار ذلك الإلغاء موجة من الاستياء الشديد عمت العالم الإسلامي كله ، في الهند ، ومصر وغيرهما ، وقد جرت بعض المحاولات لإحياء الخلافة من جديد ، ولكن الأحوال لم تكن ملائمة لإحيائها .

ويبدوا أن مصطفى كمال عندما ألغى الخلافة كان ينفذ مخططاً غربياً مرسوماً له ، نصت عليه اتفاقية لوزان ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٣ م التي فرضت على تركيا شروطاً للصلح معروفة بشروط لوزان الأربع وهي :

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام .

٢- إلغاء الخلافة الإسلامية .

٣- إخراج الخليفة العثماني من البلاد ، ومصادرة أملاكه ، وإخراج أنصار الخلافة من المسلمين المتحمسين لها ، والتعهد بإخماد كل حركة موالية للخلافة .

٤- اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم القائم على الشريعة الإسلامية .

وقد قبل مصطفى كمال هذه الشروط ، ليس مجبراً وإنما عن اعتقاد تام منه ، ونفذ بنودها تنفيذاً حرفياً وبكل إخلاص ، فعمل من بعد إلغاء الخلافة على إبعاد تركيا – بإصلاحه المزعوم – عن العالم الإسلامي ، وعن ماضيها الإسلامي ، بل إنه حارب الإسلام ذاته في تركيا وحارب المسلمين الحادبين على دينهم هناك ، فألغى التعليم الديني ، وحارب وقتل رجاله ، وألغى وزارة المحاكم الشرعية ، وغير المناهج التعليمية إلى مناهج مناهضة للدين ، وباختصار قام بعمل كل ما يجعل تركيا بلداً علمانياً محضاً ، بعد أن كانت مقراً وكياناً للخلافة الإسلامية ، فكانت تلك إحدى الضربات القاسية التي وجهت للإسلام ، والتي لا يزال العالم الإسلامي يعاني من آثارها .

وظلت حكومة مصطفى كمال (غير اسمه لكمال أتاتورك) تنفذ مخططها الرامي إلى محو الإسلام من تركيا كخطوة أولى نحو إلحاقها بالغرب الأوروبي – دولة تابعة له ، سائرة في ركابه.

وتمادى بعد ذلك مصطفى كمال في حربه للإسلام ، فحدد عدد المساجد وعدد الوعاظ فيها ، وحتى خطبة الجمعة حدد لها موضوعاتها ، كأن تتعرض بالمدح والإطناب لسياسات الحكومة الزراعية والاقتصادية وغيرها ، ثم ألغى الشريعة الإسلامية وأحل محلها القانون المدني الوضعي ، واستبدل التقويم الهجري بالتقويم الميلادي ، وحتى العطلة الرسمية غيرها من يوم الجمعة إلى يوم الأحد ، وتدخل في زي الناس ولباسهم ، فأمر بلبس القبعة تشبهاً بالأوروبيين ، بدلاً عن زي الرأس العثماني ، ومضى ليستبدل أحرف اللغة العثمانية العربية بالأحرف اللاتينية ، محاولاً في كل ذلك قطع صلة تركيا بماضيها ، وبتراثها الإسلامي ، إلى الحد الذي ألغى فيه الحجاب الإسلامي ، وهكذا كانت بداية انقطاع تركيا عن عالمها الإسلامي ، واتجاهها نحو أوروبا ، ونحو علمانية مطلقة **،

المحاضرة السادسة

...ضعف العالم الإسلامي.

عناصر المحاضرة

- مقدمة
- أثر غيبة الخلافة .
- وسائل الاستعمار في إضعاف العالم الإسلامي.
- المخطط السياسي والاقتصادي.
- ١ - العلمانية .

أثر غيبة الخلافة :

كان لغياب الخلافة أثر بالغ في واقع الأمة السياسي ويمكن حصره فيما يلي :

أولاً : غياب دولة الإسلام الكبرى .

ثانياً : غياب الدولة التي كانت تظل المسلمين وتجمع شملهم ، وتدفع عنهم ، وتحمل دينهم إلى أراض جديدة (الفتوحات الإسلامية).

ثالثاً : غياب الدولة التي كانت ترهب عدو الله وعدوهم ، إذ أن القوى العالمية كانت تحسب لها ألف حساب ، حتى بعد ضعفها وتهورها .

رابعاً : غياب الدولة التي عرف اليهود وتأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى فلسطين إلا بتحطيمها ، وذلك واضح من تصريح أحد قادتهم حين قال : " إن الأفعى اليهودية لابد أن تمر بالأستانة (اسطنبول)في طريقها إلى فلسطين " .

أضف إلى ذلك أنه – وكما أسلفنا – انفتح الباب أمام حركة " التغريب " ، وأمام إشاعة التقاليد والثقافة الغربية بغرض تحطيم الإسلام وقيمه ، والتمكين للاستعمار في شتى صوره ، وبدأت الحركات الإسلامية الإصلاحية داخل العالم الإسلامي تتعرض لضغوط وتحديات جديدة لا قبل لها بمواجهتها ، كلها ترمي إلى إضعافها ، والفت في عضدها ، ثم القضاء عليها كلية ، ذلك أن الغرب الصليبي ما كان يسمح مرة أخرى بقيام دولة الإسلام ، بل كان يخطط دائماً وبكل السبل لمحاربة كل خطوة قد تؤدي على ذلك ، سواء كانت تلك الخطوة في صورة دعوات إلى تضامن إسلامي ، أو إلى جامعة إسلامية ، أو حتى إلى دعوة تدعو إلى تطبيق جدي للشريعة الإسلامية ، وقيام دولة إسلامية .

وبسقوط الخلافة واجه الغرب الصليبي الأمة الإسلامية بالتحدي الكبير ، فنشط الاستشراق ، والتنصير ، وبدأت المحاولات الجادة لإبعاد المسلمين عن دينهم ، وعن قيمه ، وبدات الحركات والدعوات الرامية إلى التشكيك في مقدرة ذلك الدين على التكيف مع ظروف الحياة العصرية ، وغيرها من الدعوات الباطلة والتي كانت تهدف أساساً إلى هز ثقة المسلمين في أنفسهم ، وفي دينهم ، وفي هويتهم الحضارية الإسلامية حتى تسهل السيطرة عليهم فكرياً ، وسياسياً ، واقتصادياً ، فيتمكن الاستعمار من الهيمنة على بلادهم ، واستلاب خيراتها ، وإبقائهم شتاتاً – ضعيفاً ممزقاً – لا حول ولا قوة لهم .. أقناناً ، وعبيداً له ، لا يجرؤون – حتى على التفكير – من الانفكاك من قبضته .

وبانهيار الخلافة والتي هي من أعظم واجبات الدين ، انحل أمر الجماعة الإسلامية ، وأصابتها الخطوب والمصائب ، فقد عاش المسلمون في ظل الخلافة ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن ، ورأوا فيها حامياً لعقيدتهم ، ورمزاً لوحدتهم ، وظل الخليفة في نظر المسلمين قائماً برعاية شئونهم ، ومسئولاً عن الدفاع عن ثغورهم ، وحامياً لأحكام الدين ، ومنفذاً لشرائعه ، ولذلك جاء إلغاء الخلافة العثمانية حدثاً زلزل القلوب ، وهز وجدان المسلمين ، وكان له آثار مفجعة في حياة المسلمين ، منها غياب الدولة التي حمتهم وربطت برباط الإسلام بين الترك والعرب ، ليقفوا في وجه مطامع الصهيونية التي كانت تخطط لاحتلال الأرض المقدسة فلسطين .

ومن آثار سقوط الخلافة العثمانية – كما أسلفنا – إلحاق تركيا رسمياً بدول المعسكر الأوروبي الغربي ، وقطع كل صلة لها بماضيها التاريخي ، وبعالمها الإسلامي .

ومنها قيام دويلات مدنية جديدة ذات دساتير وضعية وعلمانية في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، تقوم على أساس قومي ، وتسعى إلى تنظيم روابطها مع جاراتها على أساس قومي متخلية تماماً عن رابطها الإسلامي .

ومنها تسلط المستعمرين المتربصين على ما تبقى من أملاك الخلافة العثمانية ، واقتسامها فيما بينهم ، فاحتل الفرنسيون سوريا ولبنان ، وكما احتل البريطانيون العراق وفلسطين والأردن ، هذا في عالم العرب ، ناهيك عن السيطرة الاستعمارية على أجزاء واسعة أخرى من عالم الإسلام .

ولعل المأساة التي عانى منها العالم الإسلامي ، ولا يزال يعاني منها حتى الآن – وكانت ثمرة مرة لسقوطه الخلافة العثمانية هي مأساة فلسطين والتي لم تستطع الصهيونية العالمية استلابها إلا بعد التآمر على السلطان العثماني ، والعمل على إسقاط الخلافة ، والخلاص من الرابطة الإسلامية ، فانفك عقد الأمة الإسلامية ،ووقعت فريسة للغزو الاستعماري السياسي والعسكري والاقتصادي والفكري ، والذي كان يخشى اتحاد المسلمين من جديد ، تحت راية الخلافة ، أو رايات التضامن الإسلامي ، أو رايات الصحوة الإسلامية التي كانت تنادي بإعادة الإسلام من جديد في حياة الأمة الإسلامية ، ومن ثم عمد الاستعمار على إبقاء المسلمين وحدات متفككة متنازعة ، لا يجمعها رابط ، ولا تجمعها هوية إسلامية مشتركة .

ولولا هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ، لما تحقق للدول الأوروبية المتحالفة " دول الحلفاء " ، مآربها في تقسيمها الأملاك العثمانية في أوروبا وأسيا فيما بينها ، ثم فرض هيمنتها الاستعمارية عليها ، ومن بعد ذلك استعمار بلاد أخرى من بلدان العالم الإسلامي ، وكان ذلك الاستعمار هو الطامة الكبرى التي نزلت ببلاد المسلمين ، فقد كان همه الأول هو حرب الإسلام وأهله ، في دينهم ، وفكرهم ، وهويتهم ، بغرض القضاء على الإسلام قضاءاً تاماً ، فهو في نظر المستعمرين العدو الأول الذي لو عاد من جديد ، فاستعاد قوته وحيويته ، فلن تقوم للاستعمار على إقصائه عن الساحة إقصاءً تاماً ، وأن يجتهد في إضعاف المسلمين بشتى الوسائل – فيبث بينهم الأفكار الهدامة ، والدعوات التي تدعى الإسلام وهي في الواقع تعمل على هدمه من الداخل ، وينشر بينهم فكره العلماني ، فيحاول أنصاره وأعوانه من

المستشرقين والمنصرين والمتغربين – التشكيك في الإسلام وفكره ، في محاولة لإضعاف العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين ، فتهتز ثقتهم في دينهم ، وفي ذاتيتهم .. قيسقطون فريسة وغنيمة سهلة للسيطرة الاستعمارية .

وسائل الاستعمار في إضعاف العالم الإسلامي

عاشت غالبية الدول الإسلامية فترات متفاوتة في القصر والطول تحت هيمنة الاستعمار الغربي الذي استغل ثرواتها ، وسخرها لخدمة مصالحة الاقتصادية والسياسة ، بل ربطها اقتصادياً باقتصاده ، وعلى الرغم من أن هذه المرحلة – مرحلة الاستعمار التقليدي – قد انتهت ، إلا أن العالم الإسلامي يعيش اليوم مرحلة الاستعمار الحديث ، وهو استعمار أخطر وأدهى من الاستعمار الأول ، لأنه يريد تحطيم عقيدة وهوية الأمة الإسلامية بكافة الوسائل والسبل ، ونتناول في هذا الفصل أبرز تلك الوسائل :

المخطط السياسي والاقتصادي :

ويرمي إلى السيطرة على الشعوب الإسلامية عن طريق الهيمنة السياسية والاقتصادية المباشرة وغير المباشرة ، فالاستعمار الحديث مثلاً يريد فرض سيطرته –عن بعد – على اقتصاد الدول الإسلامية، بإبقائها الحديث فقيرة ، معتمدة عليه دائما ، فيسهل استعبادها ، وهو يرمي أيضا إلى تعزيز سيطرته عن طريق إيقاع الفتنة والشقاق بين دول العالم الإسلامي ، باصطناع عملاء له من المسلمين لتنفيذ أغراضه ، مثل زرع التمرد على السلطة ، وبإحداث الفتنة والبلبلة في صفوف المسلمين ، وعلى العادات والتقاليد ،وأخيرا – وهذا هو الأهم – بربط دار الإسلام اقتصاديا بالدول الاستعمارية عن طريق التكتلات الاقتصادية ، واحتكار المال ، وإدخال البلاد في نطاق عملة البلد المستعمر ، ثم بتقديم المعونات الاقتصادية المشروطة للبلاد لتبقي مكبلة دائما تحت سيطرته .

أما سياسياً فقد أعطى المستعمرون للبلاد التي استعمروها بعد أن خرجوا منها ما سمي "بالاستقلال المميز " ، وذلك أنهم سلموا الحكم لفئات تعلمت في مدارس إرساليته ، وتشربت حضارته ومبادئها الغربية المادية ، فنشأت غريبة عن وسطها الإسلامي ، وبعيدة عن إرثها الحضاري الإسلامي ، علمانيين في أفكارهم ، غربيين في توجهاتهم ، محاربين لعقيدة أمتهم الإسلامية بشتى السبل ،وعندما سلم المستعمرون أولئك مراكز القيادة والتوجيه ، لم تتغير الحال كثيراً بعد هذا الاستقلال المزيف ، بل ظلت البلاد تعاني آثار الغزو الفكري ، والتسلط السياسي والاقتصادي ، وتتخبط في مسيرتها – في معظم الأقطار الإسلامية – بعيداً عن هدي دينها وشريعتها السمحة .

ووقع الصراع في كثير من البلدان الإسلامية نتيجة التبعية السياسية ، والمحاور المتنافرة التي ترتبط بها هذه البلاد ، ونتيجة للمشاكل التي زرعها المستعمرون في كل بلد من البلاد التي سيطروا عليها ، فهناك مشاكل الحدود المصطنعة والتي صارت مشاكل مزمنة بين الأقطار الإسلامية المتجاورة ، وحالت بين التعاون فيما بين تلك الأقطار ، والأمثلة لذلك كثيرة ، الصومال مع جيرانه ، العراق وإيران ، سوريا وتركيا ، الهند وباكستان ، بنغلاديش والهند ، وكشمير ، اليمن وعمان وغيرها من الأمثلة .

كما كان لهذه الأقطار أن تكتوي بنار الصراع العالمي لحساب غيرها من الدول الكبرى التي تتسابق إلى الثروات والمصالح في العالم الإسلامي ، وتعمل على أن يبقى هذا العالم مسلوب الإدارة ، مستنزف الموارد موزع الولاءات ، بعيداً عن عقيدته الصحيحة ، ومثله القويمة التي ترسم له طريق الخلاص من كل ألوان التبعية ، وتدفعه نحو بناء الأمة القوية التي تحمي استقلالها وثرواتها من كل طامع أثيم .

وكما اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي ، ومزقوا أوصاله ، فقد شجعوا الأحزاب القومية ، والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي خدمة لمصالحة ، كما أبعدوا مفهوم الجهاد وحاربوه بكل الوسائل ، وجاءت الولايات المتحدة الأمريكية لترث الاستعمار ، فمارست كل الممارسات الاستعمارية السابقة ، ولكن عن بعد ، وبذكاء ، وبأساليب حديثة ، كالدعوة إلى " العولمة " ، وإلى بسط سلطان المؤسسات المالية التي ترعاها وتهيمن عليها ، كالبنك الدولي ، وكمؤسسة النقد العالمية ، وما شاكلها من مؤسسات عالمية أمريكية ، وكانت أمريكا – المستعمر الخفي الجديد – كما كانت الدول الاستعمارية القديمة تدرك أن الخطر الأعظم عليها وعلى مخططاتها هي الوحدة الإسلامية ، ومن ثم كان همها الأول أن تعمل لمنع تلك الوحدة ، أو التضامن الإسلامي ، وتشجيع كل ما يساعد على ذلك المنع ففرزت ما من شأنه ترسيخ التبعية السياسية في مجال الحكم ، والاقتصاد والفكر .

المخطط الفكري – الغزو الثقافي :

يرتكز هذا المخطط على نشر الأفكار التالية بين المسلمين في محاولة لزرع الشك في دينهم الإسلامي ، ثم في النهاية التخلي عنه كنظام متكامل للحياة ، وهذه الأفكار هي :

١- الفكر العلماني .

٢- حركة التنصير .

٣- حركة الاستشراق .

٤- بث الفكر السياسي الغربي – كالفكرة القومية ، والاشتراكية ، والشيوعية ، وما شابه ذلك من أفكار .

وهدف الاستعمار الغربي من وراء كل هذه المخططات سياسية كانت أم اقتصادية ، أو فكرية ، هو تأكيد قبضته ، وهيمنته على أرض المسلمين ، وعلى عقولهم وقلوبهم ، ومحاولة إضعاف دينهم ، وفكرهم الإسلامي ، وتشكيكهم فيه ، حتى يبقى العالم الإسلامي خلواً من أي توجيه أو فكر أصيل ، وليبقى الباب مفتوحاً أمام الفكر الغربي العلماني ، فيتسنى للمستعمرين السيطرة على ذلك العالم وعلى أهله .

وهذا الأسلوب هو ما عرف بالغزو الفكري ، والذي يعتمد الوسائل غير العسكرية ، وغير المباشرة لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية ، وصرف المسلمين عن التمسك بدينهم ... وسلاح هذا الغزو هو : الفكرة ، والحيلة ، والرأي ، والنظريات ، والشبهات – ثم حرب شاملة ممتدة إلى شعب حياة المسلمين كلها .

وقد أدرك الاستعمار أن هزيمة المسلمين لن تكون بالسلاح ، ولكن تكون بحربهم في عقيدتهم التي هي مكمن القوة فيهم ، وبإحداث فراغ فكري بين أبناء الأمة الإسلامية ، وباقتلاع الأمة ذاتها من جذورها الحضارية ، وذلك عن طريق إظهار تهافت ، وعدم جدوى كل ما تملكه من مقومات أمام متطلبات عصر الذرة ، وغزو الفضاء – وهذا الأسلوب هو ما يعرف اليوم بالغزو الثقافي ، والغزو الفكري ، وهو أكثر خطراً من الغزو العسكري ، إذ أنه لا يعتمد على استخدام القوة ، والمواجهة المسلحة ، ولكنه يلجأ إلى أساليب أخرى ماكرة ، وخادعة وناعمة ، ولكنها شديد الأثر والخطر ، إذ أنها غزو للعقول والقلوب ، يعمل في هدوء تام ، غالباً عن طريق بعض أبناء الأمة ممن تربوا في معاهدة ، وجامعاته الاستعمارية ، فأصبحوا خداماً لفكره ، وأداة طيعة في يده يوجهها ضد أعدائه من دعاة الفكر الإسلامي الأصيل ، محدثاً بذلك صراعاً داخلياً بين أبناء الأمة الواحدة ، وفوضى فكرية يستطيع من خلالها زرع بذور أفكاره الهدامة الرامية إلى صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم ، بل والقضاء على ذاتيتهم الإسلامية المتميزة ، والتي يرى في تمسك المسلمين بها خطراً داهماً عليه .

فالقائمون على الغزو الثقافي – من مستعمرين وأتباعهم – يهدفون إلى ضرب الإسلام من الداخل عن طريق إضعاف فاعليته وعزله عن التأثير في حياة المسلمين – فهم يريدون تحييد الإسلام ، بتشويه عقائده ومثله ، ويريدون كذلك إظهار اتباعه في أبشع صور التخلف ، والهمجية ، والتطرف – وقد تعددت أساليب ذلك الغزو الثقافي ، نسوق من أبرزها ما يلي :

1: العلمانية -

ماذا تعني كلمة " علمانية " ؟ قد يظن البعض أنها كلمة مشتقة من " العلم " ، وأنها منسوبة إلى العلم – وليس هذا بصحيح ، فلا صلة للعلمانية بالعلم ، وهي كلمة نقلت من الغرب الأوروبي – موطن نشأتها – إلى البلاد الإسلامية والعربية على الأخص ، والعلمانية هي الترجمة للكلمة الإنجليزية ، والتي يشرحها القاموس الإنجليزي بقوله : العلمانية هي النظرية التي تقول إن الأخلاق والتعليم يجب ألا يكونا مبنيين على أسس دينية ، أما دائرة المعارف البريطانية فتقول عن " العلمانية " : إنها حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها ، وذلك لأنه كان لدى الناس في العصور الأوروبية الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا ، والتأمل في الآخرة ، فجاءت الدعوة إلى " العلمانية " لمقاومة هذا الاتجاه ، وظلت تلك الدعوة تتطور باستمرار خلال التاريخ الأوروبي الحديث باعتبارها حركة مضادة للدين ، ومضادة للنصرانية ، وقد جعلت دائرة المعارف البريطانية في حديثها عن الإلحاد الفلسفة العلمانية نوعاً من الإلحاد ، سمته الإلحاد العلمي .

والعلمانية تعني في لغة الغربيين وعرفهم " اللادينية " ، وهي حركة اجتماعية ذات فلسفة معينة هدفها إبعاد الدين عن الحياة كلها – الحياة الاجتماعية ، والأخلاقية ، والتعليمية ، والسياسية - ، والشائع بين الناس أنها تعني فصل الدين عن

الدولة ، وهذا خطأ ، فهي – كما رأينا – تعني إبعاد الدين عن الحياة كلها ، والعلماني هو الشخص الذي لا يطبق الدين في السياسة ، ولا في شئون الحياة كافة .

وقد كان ظهور العلمانية في أوروبا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري – أو قبل ذلك بقليل – ابتداء من ظهور " الهرطقة " والخروج على سلطان الكنيسة ، ورجال الدين النصراني ، " فالعلمانية " إذاً نبتت خارج العالم الإسلامي ، وتسربت إليه من خلال مناهج التعليم ، ومن خلال المبعوثين الذاهبين من بلدان العالم الإسلامي إلى معاهد أوروبا لتلقي العلم فيها ، وكذلك من خلال ضلالات المستشرقين ، وتضليل سبل الإعلام الغربي.

وقد حرص الاستعمار على نشر الفكر العلماني بين أبناء المسلمين عن طريق فرض نظامه التربوي الغريب عن المعتقدات والقيم الإسلامية ، وكذلك عن طريق حصر التعليم الديني وعزله عن التعليم العام ، وعن محاصرة وتمييع المناهج الإسلامية باسم التطوير والتحديث ، وهو إذ يفعل ذلك إنما يرمي إلى خلق أجيال من المتعلمين تجهل تراثها الإسلامي ، فتتنكر لشخصيتها وذاتيتها الإسلامية ، وترى أن الحضارة الأوروبية ، والعلم الأوروبي هو أساس الرقي والتطور ، وأن كل شيء دون ذلك عتيق ، قديم ولا يساير التحضر والتطور ، وهكذا استطاع الاستعمار ببثه لمثل هذا الفكر العلماني أن يبعد بعض الفئات المتعلمة – والتي كانت قد برزت إلى مواقع الصدارة في بلدانها – عن دينها ، وعن مثلها وقيمها وحضارتها الإسلامية ، وقد أصبح هؤلاء غرباء عن أمتهم الإسلامية ، فتبنوا دعوات فكرية هدامة وموالية للغرب سنذكرها في المحاضرة القادمة. **

المحاضرة السابعة

وسائل الاستعمار في إضعاف العالم الإسلامي

عناصر المحاضرة

- مقدمة
- أشكال العلمانية
- أ- التشبث بالحضارة الغربية.
- ب- بث الدعوات والنزعات القومية والإقليمية والقبلية.
- جـ - قطع صلة المسلمين بالقرآن الكريم – محاربة اللغة العربية
- د – توجيه التعليم وجهة إسلامية .
- هـ - طمس هوية الأمة الفكرية .
- و- بث الدعوات الدينية الهدامة وتشجيعها .
- أولاً: السيد أحمد خان

أشكال العلمانية:

أ- التشبث بالحضارة الغربية :

والإعجاب بها ، والأخذ بها دون وعي ، وقد تبنى هذا الاتجاه جماعة من الكتاب والأدباء المسلمين من الذين تولوا المراكز القيادية بعد زوال الخلافة العثمانية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، لعل من أوضحها كتابات طه حسين والتي يبدي فيها إعجابه الشديد بالحضارة الغربية ، ويدعو إلى الأخذ بتلك الحضارة ، والسير في ركابها إن أريد للأمة أن تتقدم وتتطور ، وكتابه "مستقبل الثقافة في مصر " مليء بمثل هذه الآراء .. وهناك كتابات سلامة موسى ، وقاسم أمين وغيرهما مما تتبنى وتدعو إلى آراء شبيهة بآراء طه حسين المتحيزة إلى الحضارة الغربية ، بل والمفتونة بها ، والداعية بالأخذ بأسبابها كلها .

وزاد من تأثير هذا الاتجاه الموالي للغرب النصراني ، ولحضارته تقاطر البعثات إلى الدول الأوروبية من أبناء المسلمين الراغبين في استكمال تعليمهم ، فقد عاد كثير منهم وقد تطبعوا بطباع الغرب ، وتأثروا بفلسفته وفكره ، وانساقوا وراء التيار الغربي ، فأصبحوا بذلك رصيداً في حساب أعداء الإسلام ، بالسلوك ، والتربية والفكر ، وانساقوا وراء التيار بلا فهم ولا وعي ، واتخذهم الاستعمار أداة طيعة في يده ، يستغلها لإحداث الانقلاب الجذري في حياة المسلمين ، ولإحداث الفجوة والفرقة بين جمهور الأمة ، وقيادتها " العلمانية " المنقطعة عنها وعن تراثها الإسلامي .

ب- بث الدعوات والنزعات القومية والإقليمية والقبلية :

وكلها دعوات أراد بها الاستعمار محاربة الإسلام ، وتجاهل ماضي الأمة الإسلامي ، ذلك أن الإسلام حارب مثل هذه الدعوات وأقام أمته على قواعد وأسس إسلامية معلومة ، والمستعمرون يريدون من نشرهم لتلك النزعات الضيقة أن يجعلوا المسلم يفكر في وطنه قبل عقيدته ، وأن يربطه بالماضي التاريخي الغامض البعيد ، السابق على الماضي الإسلامي ، والذي يجد فيه المسلم أسس قوته ومجده ، ودعائم نهضته ، فالاستعمار لا يريد للمسلمين ذلك ، وإنما يريد إبعادهم عن ذلك الماضي ، بالدعوة إلى إحياء الحضارات القديمة ، حتى تحل محل الأخوة الإسلامية .. ومن ثم أراد الغرب تلفيق دعوة وهمية لكل قطر إسلامي ، فمصر أرادوا لها "الفرعونية " التي تقوم على إحياء ما قبل الإسلام من لغة وأدب وتراث وفرعوني ، والاعتزاز بتاريخ مصر القديم .. وقد أطلت هذه الدعوة برأسها منذ غزو نابليون لمصر في عام ١٧٩٨ م واستصحابه لبعثة علمية للتنقيب عن آثار الفراعنة ، وتعميق مثل هذه الدعوة يقود إلى "الانطواء على الذات " ، ومعارضة كل دعوة ترمي إل تقرير الوحدة الإسلامية – أو حتى العربية – والتمسك بالعصبية الفرعونية التي يرى أنصارها أن المسلمين العرب غزاة دخلاء على مصر ، كاليونان ، والرومان سواء بسواء .

كما بعثوا " الفارسية " في إيران ، وسوغوا لها ضرورة إحياء التراث الفارسي القديم ، والتمسك والاعتزاز به ، وعمدوا إلى إثارة " الفينيقية " في لبنان ، و " الآشورية " و " البابلية" في العراق ، و " الكنعانية " في فلسطين ، و " البربرية " في المغرب – وهكذا، والهدف من وراء إثارة هذه النعرات الإقليمية الضيقة هو سلخ أجزاء العالم الإسلامي بعضها عن بعض ، وعزلها عن بعضها ، والتفريق بينها ، والحيلولة دون وحدتها ، والعمل على إرغام كل جزء منها على التخلي عن تاريخه وماضيه الإسلامي ، وعن لغته العربية ، وفصله عن جسم الأمة تمهيداً للانقضاض عليه واستعباده .

جـ - قطع صلة المسلمين بالقرآن الكريم – محاربة اللغة العربية :

إن هدف المستعمرين هو محاربة اللغة العربية ، لكونها لغة القرآن الكريم ، وبها تمت صياغة التراث الإسلامي عبر السنين ، وقد صاحبت انتشار الدين الإسلامي ، فحلت أينما حل ، وبها كتب المسلمون على اختلاف لغاتهم وأجناسهم وديارهم ، وهي عنصر وحدة بين المسلمين ، ولذا كان من الطبيعي أن يحاربها المستعمرون ، وأن يقفوا في طريق انتشارها ، بالتمكين للغاتهم من انجليزية ، وفرنسية وهولندية – بحيث لا تتمكن اللغة العربية من التوسع بين مسلمي العالم ، واتبعوا في ذلك عدة أساليب – منها :

أولاً : نقل كثير من لغات المسلمين التي كانت تكتب بالأحرف العربية ، من ذلك الحرف إلى الحرف اللاتيني ، فقد نقل مصطفى كمال أتاتورك في مؤتمر باكو عام ١٩٢٦ م أحرف اللغة العثمانية العربية إلى الأحرف اللاتينية ، وحدث نفس الشيء بالنسبة للغة الإندونيسية ، ولغة الهوسا في نيجيريا ، واللغة السواحلية في بلدان شرق أفريقيا .

ثانياً : تشجيع اللغات المحلية واللهجات في معظم البلاد الإسلامية غير العربية لتصبح هي اللغات القومية ، مثل بعض اللغات المحلية واللهجات في القارة الأفريقية ، ومثل السنسكريتية (الهندية القديمة)، والبنغالية في شبه القارة الهندية ، وغيرها .

ثالثاً : توسيع نطاق لغة المستعمر ، وجعلها اللغة الرسمية ، كما فعل في الهند الإسلامية ، وبنغلاديش ، وباكستان ، وفي بلدان غرب أفريقيا ، ووسطها وشرقها ..ولعل هذا الأمر أوضح ما يكون في المستعمرات الفرنسية ، وكذلك في

المستعمرات البريطانية ، فلا زال أهلها من مسلمين وغيرهم حتى الآن يتحدثون ويتخاطبون بلغة مستعمريهم القدامى ،.. خاصة اللغة الفرنسية .

رابعاً : وعندما وجد الغربيون أن القضاء على اللغة العربية في حكم المستحيل عملوا على التقليل من شأنها ، فقالوا إنها لا تلبي حاجات العصر ، وأنها استنفدت أغراضها .. ومن ثم عمدوا إلى الدعوة لاستخدام اللغة العامية لغةً للتأليف والكتابة ، كما فعلوا في الجزائر ، ومصر ، وبلاد الشام ، والعراق ، وتونس ، والمغرب ، كما أن السياسة التعليمية تجاهلت اللغة العربية ، ولم تهتم بها ، ولا بمعلميها بالقدرة الذي أولته لغاتها ومعلميها من اهتمام وتشجيع – والغرض من محاربة اللغة العربية بهذه الصورة وبكل تلك القوة ، هو زرع الفرقة بين المسلمين من عرب وغيرهم ، بتفريقهم في اللغة ، والدين والثقافة ، وبعدم السماح للعربية من الانتشار بين المسلمين وما بين تراثهم الماضي ، لأنه هو الذي يربطهم ويوحد بينهم .. ، وهو الذي يعطيهم الثقة في أنفسهم ، ويعزز من صمودهم أمام مخططات الاستعمار وتحدياته .

د – توجيه التعليم وجهة إسلامية :

وذلك عن اقتباس الأنظمة والمناهج الغربية ، وإحلالها محل مناهج التعليم الإسلامية التي وجدها الاستعمار في مستعمراته الإسلامية ، والهدف من كل ذلك هو إضعاف العالم الإسلامي ، بتذويب هويته الإسلامية في الهوية الاستعمارية .. وكذلك توجيه التعليم لتخريج طائفة من المتعلمين يخدمون مصالحه ، ويعززون من سيطرته الاستعمارية في بلدان المسلمين التي استعمروها ، وأخذ يحارب الإسلام فيها ... ومن ثم ما فتئ المستعمرون يحاولون القضاء على ثقافة الإسلام وإرثه ، بالطعن فيهما ، وأثارت الشكوك والشبهات حولهما ، وذلك عن طريق إحلال الفكر العلماني محل الفكر الإسلامي في مناهج التعليم والتي أُخرج من برامجها الدين ، وتاريخ الإسلام ، وإرثه الثقافي واللغوي ، في محاولة لطمس هوية الأمة ، ولقطع صلتها بتراثها وماضيها الإسلامي .

ولا عجب أن خلت مناهج الجامعات أيضاً من علوم الإسلام ، وامتلأت بمفردات المناهج اللادينية ، كعلوم الفلسفات المادية والإلحادية ، والنظريات الغربية الرافضة للدين وعلومه ، وكذلك التركيز والاهتمام بالتراث والحضارات الوثنية ، والحضارات السابقة للإسلام – حدث ذلك في مصر ، وفي تركيا ، وإندونيسيا ، وغيرها ، والغرض من وراء كل ذلك هو محاولة القضاء على العوامل الجامعة للعالم الإسلامي ، ولا غرو إذاً أن أصبحت برامج التعليم علمانية في كل مراحله ، وتعدى الأمر المناهج إلى أسلوب التربية ، وفلسفة السلوك ، فطبق الاختلاط بين الذكور والإناث في معظم جامعات العالم الإسلامي ، وأُدخل في روع الطلاب ((عن طريق المناهج وغيرها)) أن الحضارة الغربية هي خلاصة الحضارات ، وأن الأمم لا تتقدم إلا باحتذائها ، والأخذ بها ...

هـ - طمس هوية الأمة الفكرية :

كان من أخطر الوسائل العصرية التي اعتمد عليها أعداء الإسلام " الصحافة " باعتبارها أكثر انتشاراً ، وأبعد تأثيراً ، فجاءت الصحف المحلية والأجنبية تبث في أوساط المسلمين قيماً غربية نصرانية جديدة ، تحفل بضروب الأفكار المخربة وأحاديث الجنس الفاضحة ، والصور العارية ، والقصص الرخيصة ، والبحوث والمقالات التي تتناول كثيراً من مقدسات المسلمين بالنقد والتجريح ، وتتوغل على المبادئ الإسلامية .

فظهرت مؤلفات مسلمين وغير مسلمين تتحدث عن الإلحاد ، وعن " الداروينية " والأصل الحيواني للإنسان ، بل إن بعضهم مثل " الشيخ " علي عبد الرزاق طرح قضية العلمانية لأول مرة في صميم الفكر الإسلامي في كتابه : " الإسلام وأصول الحكم " ، وخطورة هذا الكتاب أنه حاول الاستناد ولأول مرة على الفكر التاريخي الإسلامي لتبرير العلمانية ضمن إطار الإيمان الديني ، وليس من منطلق العلمانية الخالصة المنافية للدين .

كما أصدر طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م ، الذي حاول فيه إبداء الشك في الروايات الجاهلية ، وتعدى ذلك إلى محاولة نقد الروايات والنصوص الدينية بما في ذلك آيات القرآن الكريم ، وفي هذا تكمن خطورة هذا الكتاب ، وليس في مجرد تشكيكه بمصادر الشعر الجاهلي ، وهكذا استمرت أفكار الغرب المنحرفة تظهر في كتابات بعض الأدباء العرب من أمثال إسماعيل مظهر، ولطفي السيد ومنصور فهمي، وأمين الخولي وغيرهم من الكتاب تحت أقنعة البحث العلمي والموضوعية العلمية .

وكان من نتيجة شيوع مثل هذه الآراء في الفكر والأدب والصحافة التمهيد لانتشار الأفكار المادية ، ولاسيما الشيوعية ، وتغذيتها بروح الشك العام في كل شيء – سواء كان ذلك دينا أو غيره – حتى أصبح الشباب المتعلم في العالم الإسلامي فريسة للشكوك ، فانضم كثير منهم إلى المنظمات اليسارية ، أو القومية وغيرها من الأحزاب اللادينية ،وأطلت الأفكار

المنحرفة في حرية تامة ، فدخل الفكر القومي ، والوطني ، والعلماني ، والمادي ، والاشتراكي ، والوجودي إلى صفوف شباب المسلمين المتعلم باسم العلم ، وحرية البحث ، والإصلاح والثورة على كل قديم ، وكان كل ذلك على حساب الرابطة الإسلامية ، فمبدأ القومية مثلا يستهدف بث العنصرية والتي تستهدف بدورها خلق الصدع ، ونشر الفرقة بين المسلمين من العرب ، والفرس ، والترك ، والهنود ، كما تهدف إلى إعلاء شأن التاريخ والولاء القومي ، والقضاء على الذاتية الإسلامية ، وكذلك الحال مع الشيوعية ، والماسونية ، والدعوات التوفيقية الداعية إلى التوفيق بين الأديان ، وبخاصة بين الإسلام والنصرانية .

وهكذا كان هدف المستعمرين ينحصر في الآتي :

١- إنشاء جيل من أبناء المسلمين يتبنى الثقافة الغربية ، ليسهل عليهم الاتصال بهم ، والتفاهم معه ، والاعتماد عليه لتنفيذ مخططاتهم كلها علمانية وغيرها .

٢- أن تخلو الأجيال المقبلة من الإسلام ، ومن الثقافة الإسلامية ، ومن الرغبة بالتمسك بالإسلام والدفاع عنه .

ومن ثم عمد المستعمرون إلى تغيير قيم الأمة ومثلها – أي تغيير عقيدتها وثقافتها وأخلاقها – وبمعنى آخر إبعاد المسلمين عن دينهم باسم المدنية والتقدم والتطور وهو ما عرف بحركة " التغريب " ، وهي حركة بدأها المستعمرون ومؤسساتهم الاستشراقية والتنصيرية ، ثم حمل مشعلها من بعدهم جماعة من المسلمين " المتغربين " ، من تلاميذ المستشرقين ومن الطلاب المبتعثين إلى الخارج ، ويساندهم في تنفيذ هذا المخطط بعض حكام المسلمين ، وتتمثل خطة هذه الحركة (حركة التغريب) ، في إحداث تغيير جذري في العادات ، والتقاليد والأخلاق تحت قناع التطور ، ومسايرة روح العصر ، مستخدمة في ذلك وسائل الإعلام المختلفة ، ومن مظاهر الحركة الواضحة اتخاذ الزي الأوربي ، والتطبع بطباع أهل الغرب ، ومحاكاتهم في القشور المظهرية لحضارتهم ، ومن نتائجها التبعية السياسية ، والفكرية ، والاقتصادية ، والتنكر للإسلام ، ولمبادئه وتراثه ... والعيش غرباء في المحيط الإسلامي ، وتخريب عقول المسلمين حتى يتسنى للاستعمار السيطرة الكاملة على العالم الإسلامي وعلى أهله .

و- بث الدعوات الدينية الهدامة وتشجيعها :

وهذه إحدى وسائل الاستعمار في تنفيذ مخططه الفكري الرامي إلى إضعاف المسلمين ، وتشكيكهم في إسلامهم ، وهذه الوسيلة إلى جانب ما قام به المتنصرون والمستشرقين من تشويه وإضعاف للإسلام في نفوس المسلمين ، هما وسيلتان مكملتان لبعضهما بعضاً ، فالصلة بينهما وثيقة ، وهدفها واحد ،وهو حرب الإسلام .

وقد عمد الاستعمار إلى إيجاد طبقة من أبناء المسلمين وتشجيعهم على تبني مذاهب إسلامية هدامة ، تخدم أهدافه ، بغرض تركيز سلطته وولايته على المسلمين ، وبعبارة أخرى عدم تحدي المستعمر في مباشرة سلطته على المسلمين ، أو معارضة إدخال مخططاته الفكرية ، ونشرها بينهم ، ولعل من أبرز المسلمين الذين تبناهم المستعمر ، وشجعهم على بث فكرهم الديني الهدام ، هو السير سيد أحمد خان ، الذي تبنى دعوة باطلة باسم الإصلاح والتقدمية .

ويمثل هذا الاتجاه المعادي للإسلام ، الدعوة " القاديانية " ، والأحمدية في الهند أيضاً ، وهناك دعوات أخرى مماثلة مثل " البابية " و " البهائية " وكلها دعوات باطلة قامت بتشجيع من الاستعمار البريطاني ، غرضها معاداة الإسلام تحت شعار الإصلاح ، خدمةً للاستعمار ، وذلك عن طريق تنفيذ مخططه الرامي إلى أضعاف المسلمين بحربهم في عقيدتهم ، وفيما يلي نتناول أبرز ملامح تلك الدعوات الباطلة :

أولاً: السيد أحمد خان :

عندما استولى الإنجليز على الهند حاربوا الإسلام هناك بشتى الوسائل ، ومنها تبنيهم ، وتشجيعهم لأحمد خان ، الذي بدأ أول ما بدأ بالمناداة بأفكار غربية ، مثل قوله بمذهب " الطبيعيين الدهريين " القائل إنه لا وجود في هذا الكون إلا للطبيعة ، وأنه ليس للكون إله حكيم ، وأن كل الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الواحد .

وقد استطاع أحمد خان أن يغري بضلالاته هذه بعضاً من أبناء الأغنياء الطائشين ، والسائرين في ركاب الاستعمار ، والمعجبين بفكره وحضارته ، ولم يكن غريباً أن للحكام البريطانيين غرضاً من وراء مشربه وضلاله هذا ، إذ رأوا فيه خير وسيلة لإفساد نفوس المسلمين ، فساندوه ، وشجعوه ، وساعدوه على بناء مدرسة في " عليكرة " سموها مدرسة " المحمديين " لتكون مصيدة لأبناء المسلمين فيدخلوها ، وفيها يتربون على أفكار أحمد خان الضالة .

ومضى هذا الرجل إلى أبعد من ذلك ، حيث كتب تفسيراً للقرآن الكريم ، حرف فيه ما أراد أن يحرف ، وقال فيه بآرائه الفاسدة ، كما أنه جهز بالدعوة لخلع الأديان ، بدعوى أن أوروبا لم تنهض إلا بعد أن رفضت الدين ، وتخلت عنه

ويتضح من كل ما ذكرنا أن دعوته دعوة إلحادية رغم إدعائه أنه يدافع عن الإسلام والمسلمين ، وأنه يريد أن يجد للمسلم المعاصر طريقاً يوفق فيه بين إسلامه وبين تقبله للحياة العصرية التي قامت على أثر نهضة العلم الطبيعي ... وهو كذلك يدعو إلى التعاون بين المسلمين والغربيين فيما أسماه " إنسانية الأديان " – وهي دعوة تشبه الفكرة المسماة اليوم " بالعالمية " ، وكانت من قبل تعرف بأسم " الماسونية " ، وفيها تنتقي الفوارق بين الأوطان ، والقوميات ، والأديان والمذاهب .

وكان للسيد أحمد خان نفوذ سياسي – تربوي ، فهو صحفي ، ومؤلف ، ومدرس ، وقد أثرت حركته هذه فيما بعد في ظهور فرقة ضالة أخرى هي " القاديانية "

المحاضرة الثامنة

بث الدعوات الدينية الهدامة وتشجيعها

ثانياً: القاديانية :

هي دعوة منسوبة إلى " ميرزا غلام أحمد القادياني " ، الذي ولد حوالي سنة ١٨٣٩ م في مدينة " قاديان " إحدى مدن مقاطعة بنجاب بالهند في بيت من البيوتات التي اشتهرت بخدمة سياسة الإنجليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم ، فوالده كان من أخلص أصدقاء الاحتلال الإنجليزي الذي فرض سيطرته تلك الأيام على شبه القارة الهندية ويقول الميرزا غلام أحمد نفسه :

" لم تبخل عائلتي ولم تضن ، ولن تبخل ولن تضن بدماء أبنائها في خدمة مصالح الحكومة الإنجليزية أبداً " .

ومن ثم كانت حركة الميرزا غلام أحمد . موضع ثقة الحكومة البريطانية ، وقد خدموها في الهند وخارج الهند .

وقد ظهر الميرزا غلام أحمد في سنة ١٨٨٠ م كأحد الدعاة إلى الإسلام والمناظرين لخصومه من غير المسلمين ، وفي ديسمبر سنة ١٨٨٨ م نادى في المسلمين ودعاهم إلى مبايعته ، وكان يدعي حينذاك أنه " مجدد العصر " ، " ومأموراً من الله " ، ويظهر للناس مماثلته للمسيح ، وفي سنة ١٨٩١ م أعلن أن المسيح قد مات ، وادعى أنه هو المسيح الموعود ، والمهدي المنتظر ، وفي سنة ١٩٠٠ م بدأ بعض الخواص من اتباعه يلقبونه بالنبي صراحة ، وكان هو يقول إن نبوته نبوة جزئية ، أو نبوة غير كاملة – وذلك حتى لا يثير الناس عليه ، وفي سنة ١٩٠١ م أعلن الميرزا بوجه سافر أنه النبي والرسول ، ولم يكن لدعواه تلك صورة واحدة بعينها ، ولكنها اختلفت باختلاف الظروف والأحوال ، فهو يقول في أحيان أنه نبي غير حامل للشريعة ، ثم يمضي هذا المدعي فيقول إن النبوة ختمت به ، وأنه هو المسيح الموعود ، بل وإن الوحي ينزل عليه ، ذلك أن باب الوحي – كما يدعي هذا الضال (ميرزا احمد) – لم يغلق إلى الآباد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وما دام هو نبي والوحي ينزل عليه ، فإن له أمة يبلغها كلام الله – هي الأمة القاديانية – وأن كل من لا يؤمن بما قاله الميرزا أحمد فهو كافر غارق في الكفر – على حد قوله .

وهكذا حاول القاديانيون أن يجعلوا نحلتهم ديناً له نبيه ، ومركزه وأصحابه ، وخلفاؤه ومقدساته ، وتاريخه ، ويقطعون صلة أتباع القاديانية عن تراث الإسلام ومنابعه ، حتى أنهم يطلقون على رجالهم " رضي الله عنهم " وعلى زعيمهم " عليه السلام " وعلى عائلته " أم المؤمنين " ، ويرون عنه الأحاديث بإسناد كإسناد الصحاح ، وقد أضفى هذا المتنبي الميرزا أحمد على بلده " قاديان " مركز القداسة ، وساواها بالمدينة المنورة ، فانظر مثلاً إلى قول أحد أتباعه :

" إن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء في القاديان له نصيب من البركات التي تختص بقبة النبي الخضراء في المدينة ، فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه من هذه البركات خلال الحج الأكبر إلى قاديان ".

وقد تقدم القاديانيون خطوة أخرى وطبقوا على " قاديان " ما نزل من الآيات القرآنية في شأن بلد الله الحرام ،، والمسجد الأقصى المبارك ، يقول الميرزا غلام أحمد في تأويل قوله تعالى : { ومن دخله كان آمناً } أن هذه الآية تنعت المسجد الذي أسسه في قاديان ، ويقول إن المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى : { سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله } هو مسجد قاديان .

لقد قاوم علماء الإسلام وقادة الفكر في الهند وغيرها من ديار الإسلام هذه الفتنة القاديانية ، فحاربوها بأقلامهم وعلمهم ، واعتبروها نحلة خارجة عن دائرة الإسلام ، المتنبى في قاديان – وكذلك بارك الإنجليز هذه النحلة ، وشجعوها، بل هم الذين غرسوها ورعوها ، لأنها دعوة تبث بذور الشقاق في صفوف المسلمين ، ولأنها أداة طيعة لتحقيق أغراضهم الاستعمارية ، وبرغم أن المسلمين ظلوا يعلنون بأن القاديانيين مارقين عن الإسلام ، فإن الإنجليز لم يكترثوا لتصريحات المسلمين وأصروا على اعتبار القاديانية طائفة من الطوائف الإسلامية ، وقد أخذ الاستعمار الإنجليزي بيدها وشجعها حتى استفحل أمرها وتبوأت المناصب الرئيسية في الإدارة المدينة وفي الجيش .

وقد سجلت الإدارة البريطانية في الهند نحلة القاديانية كمذهب رسمي في سنة ١٩٠٠ م ، وقد استغلت النحلة هذا السند البريطاني ، فتمادت في نشر ضلالتها ، وادعاءاتها الباطلة إلى الحد الذي حدثت بينهم وبين عامة المسلمين اشتباكات ومنازعات في جميع المجالات ، ورفعوا أمرها إلى المحاكم ، والتي قضت بأن القاديانيين قوم مرتدون عن الإسلام ، والغريب في الأمر أنه لما قامت دولة باكستان بعد جلاء الإنجليز عن شبه القارة الهندية ، ظلت هذه الدولة تبسط على القاديانيين جناح عطفها وحمايتها ، تقطعهم الأراضي الواسعة ، وتسند إليهم نصيباً وافراً من المناصب الحساسة في دوائرها .. وفي وجه هذا السند اجتمع زعماء المسلمين في مدينة كراتشي عام ١٩٥٣ م وطالبوا الحكومة بأن تجعل القاديانين أقلية غير مسلمة على غرار الأقليات غبر المسلمة الأخرى ، ولكن الحكومة استمرت في حمايتها لهم ، بل إن وزير خارجيتها ظفر الله خان كان من القاديانين المتحمسين لدعواهم ، فمكن لهم في السفارات والمفوضيات – وقد حاولت الحكومة قمع حركة علماء المسلمين المعارضين للحركة ، فأعلنت الحكم العرفي ، وزجت بقادتهم في السجون ، واستشهد مئات المسلمين المعارضين للحركة برصاص جنود الحكومة ، وكان من ضحايا هذا القمع الأستاذ أبو الأعلى المودودي مؤلف كتاب ((المسألة القاديانية)) الذي حكم عليه بالإعدام أولاً ، ثم استبدل الحكم بالسجن أربعة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة ، ولم تكن جريمته إلا أنه عارض القاديانية ، وألف رسالته المذكورة التي وضح فيها أباطيل القاديانية

والدعوة القاديانية لها ومراكز في شتى أقطار الأرض ، ولا سيما في البلدان الأفريقية ، وفي البلاد الأوروبية ، وفي إيران .. وعدد مراكزهم في العالم – حسب تصريحاتهم إحدى وثلاثين مركزاً ، ومن أغرب ما يكون أن لهم مركزاً في إسرائيل – أسسوه في حيفا في ظل الحماية البريطانية ، ومن حيفا يرسلون دعاتهم للبلدان العربية ، وهم الآن ينعمون بحماية إسرائيل لهم ، وتجدر الإشارة إلى أنهم يقيمون في إسرائيل على الجواز البريطاني ، لأن باكستان لا تعترف بالكيان الإسرائيلي في فلسطين ، وموالاتهم لإسرائيل ، ثم للإنجليز دليل قاطع بأنهم غير مسلمين ، ولا بد للحكومات العربية والإسلامية وبخاصة الجامعة العربية ولجنة مقاطعة إسرائيل من التنبه لخطر القاديانيين وخطر نشاطهم الدعوي ، خاصة وأن دعاتهم الضالين عندما يشرعون في بث ضلالاتهم في أوساط المسلمين لا يظهرون إلا في مظهر دعاة الإسلام ، ودعاة البحث والتجديد لإيقاع المسلمين السذج في مصيدتهم .

وتختلف القاديانية مع الإسلام في جملة مسائل ، منها : أن عيسى عليه السلام بعد موته ، هاجر إلى كشمير في الهند لينشر تعاليم الإنجيل في البلاد ، وأنه توفي بعد أن بلغ من العمر ١٢٠ عاماً وأن قبره لم يزل موجوداً هناك .

وأيضاً في إدعائه أنه " المهدي " ، فهو " نبي " ... كما أن رأيه في الجهاد مخالف للرأي الإسلامي ، فالجهاد في رأيه وسيلة سلمية للإقناع ، فهو يبطل فرضية الجهاد ويحاول التغريب بين الإسلام والنصرانية لدرجة تكاد تدمج أحدهما في الآخر .

والخلاصة أن القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام ، وهي أيضاً وليدة السياسة الإنجليزية التي تحاول قتل روح المقاومة الإسلامية لمخططاتها الاستعمارية ، وتفريق شمل المسلمين في الهند وغيرها من المستعمرات البريطانية ، ولذا حمى الإنجليز ميرزا غلام أحمد ، ومكنوه من نشر دعوته الرامية إلى تأسيس ديانة جديدة ، وأمة قاديانية بدلاً عن الإسلام وأمته .

ثالثا: الأحمدية :

انشقت القاديانية بعد نشأتها بقليل إلى فرقتين : الأولى القاديانية أو الأحمدية والثانية اللاهورية – أو جماعات لاهور – والفرقة الأولى تعتقد أن الميرزا غلام أحمد نبي مرسل من الله تعالى ، وأنة المسيح الموعود ، وأنة أفضل من كثير

الأنبياء ، وأن أصحابه هم صحابة ورجال البعثة الثانية ،والمسلمون يسمونهم " قاديانيين " نسبة إلى مدينة " قاديان " والتي نشأت فيها الحركة وترعرعت ، وهم يسمون أنفسهم " أحمديين " نسبة إلى مؤسس الحركة غلام أحمد المتنبي الكذاب ، وذلك تضليلاً للناس ، وذراً للرماد في العيون .

أما الفرقة الثانية " اللهوريين " فيتزعمها رجلان هما خواجة كمال الدين ، ومولاي محمد علي ، وهم يرون أن الميرزا غلام أحمد مصلح ومجدد، والمسيح الموعود ، ولهذه الفرقة نشاط كبير في الخارج في آسيا وأوربا، وكل من الفرقتين تسمى نفسها بالأحمدية ،والمسلمون لايفرقون بين هاتين الفرقتين ، فكلاهما فرقتان ضالتان خارجتان عن ملة الإسلام .

رابعاً: البابية :

ظهرت الفرقة البابية في عام ١٨٤٤م في إيران في وقت كانت تعصف الاضطرابات السياسية ، والفوضى الفكرية الدينية ، وفي هذا الجو المضطرب ظهر اسم علي محمد الشيرازي في عام ١٨٤٤م- وقد عرف فيما بعد – بالميرزا علي – ليعلن أنه " الباب " الموصل إلى صاحب الزمان ،الإمام المنتظر الذي ينتظره الشيعة الإثني عشرية ، وأنة يريد إصلاح ما فسد من أمر الإسلام والقرآن ، ثم ما لبث أن تحول الإدعاء والزعم إلى أنه هو بعينة الإمام المنتظر ، ثم تجاوز هذا الإدعاء إلى الزعم بأنه نبي مرسل ،حيث قال " وأن الله قد أوحى إلي إن كنتم تحبون الله فاتبعوني " وقال : ولقد بعثني الله بمثل ما قد بعث به محمداً رسول الله من قبل " – ولم يقف هذا المدعي عند هذا الحد بل زعم أن الإله حل فيه ،في كتابه " البيان " .

وخلاصة هذه الدعوة المسماة بـ " البابية " أنها ناسخة للشريعة الإسلامية ، وأن الباب هو خاتم النبيين بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه أنزل عليه كتاب أفضل من القرآن الكريم واسمه " البيان " فيه مضمون دعوته ، والذي لا يصح على الأتباع إلا قراءته دون سواه ، وأن كل من لا يؤمن بكتابة هذا كافر يستحق القتل – كما أن الباب ألغى الصلوات الخمس ، وصلاة الجمعة ، وصلاة الجماعة إلا صلاة الجنازة ، وقال إن القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيراز، وقال إنه أفضل الأنبياء قاطبة .

والبابيون يرون أن الأنبياء ليسوا إلا مصلحين اجتماعين جاءوا لإصلاح شئون البشر ، ويمكن أن يأتي مثلهم كثيرون ، ومن ثم أنكروا أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء ، والغريب هنا أن يدعي " الباب " أنه نبي في حين ينفي عن الأنبياء صفة النبوة . وقد هاجم علماء المسلمين هذه الدعوة الإلحادية ، واعتبروها دعوةً خارجة عن الإسلام ، وقبض حاكم شيراز على " الباب " ، وأمر بتعليقه من ساقيه وضربه حتى أعلن توبته ، ولكنه ما لبث أن عاد إلى كفره ، فقبض عليه وأعدم في عام ١٢٦٥ هـ .

خامساً: البهائية :

بعد إعدام " الباب " قام بالأمر من بعده أحد أتباعه وهو الميرزا حسين علي المازندراني ، الملقب " بالبهاء " أو بهاء الله – وأخوه المسمى صبح الأزل ، وادعى " البهاء " أنه الموعود الحقيقي ، والمسيح المنتظر ، وأن " الباب " لم يكن إلا داعياً ومبشرا به ، فمثله معه كمثل يوحنا المعمداني مع المسيح عليه السلام ، وبدأ ينشر تعاليمه في طهران ، ولكنه تورط في محاولة لاغتيال شاه إيران للإفراج عنه ، فاستجابت الحكومة الإيرانية فنفته إلى العراق ، حيث تولته مجموعة من اليهود لتخطط له منهجه ، فوجهه اليهود وجهة تتصل بالماسونية حيث الدعوة إلى وحدة الأديان بالخروج على أصولها في دين جديد ، وهي دعوة تستهدف عالمية الدين الإسلامي ، وتعاليمه ، بنسخها في دين عالمي جديد .

وقد تنبهت السلطات العثمانية إلى خطر البهائيين والبابيين فنفتهم إلى الأستانة ، ثم إلى أدرنة ، وأخيراً نفي ((البهاء)) إلى عكا ، ونفي شقيقه ((صبح الأزل)) إلى قبرص ، حيث ادعى كل منهما أنه رسول مستقل ، وليس خليفة للباب ، وأن لكل منهما كتاب خاص به ناسخ للشرائع السابقة ، فللبهاء كتابه المسمى ((الأقدس)) ، ولأخيه كتابه المسمى ((ألواح)) ، ودخل الإخوان في صراع مرير بينهما ، تمكن ((البهاء)) خلاله من إبادة جماعة أخيه ، حيث صفا له المكان ، فادعى النبوة ، ثم ادعى الألوهية ، ولقب نفسه البهاء – أو بهاء الله أي وجه الله الأبهى ، حيث سانده اليهود كما قلنا ، وقد أسقط البهائيون فريضة الجهاد ، وأيدوا الدعوة الصهيونية ، واغتصابها لفلسطين ، وأيدوا الربا بإيعاز من اليهود ، وقد اتضحت صلة هذه الحركة بالاستعمار البريطاني وباليهود عندما منحته الحكومة البريطانية جنسية إنجليزية ، وأنعمت عليه بالوسام الإمبراطوري ، وبلقب ((السير)) وهذه المنح لا تقدم إلا لمن قدم خدمات جليلة للإمبراطورية البريطانية على حساب الإسلام والمسلمين ، وقد اتخذ البهاء بعد ذلك من عكا مقراً له

والدعوة البهائية مخطط كامل لهدم الإسلام ، إذ فيها :

١- تأويل القرآن الكريم على غير مفهومها ومدلولها اللغوي والشرعي.

٢- قولهم إن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا الزمان ، وفي هذا إقرار بالقوانين الوضعية الاستعمارية ، وبفصل الدين عن كافة شئون الحياة .

٣- معارضة الجهاد ومقاومته ، وقد ارتفعت صيحتهم هذه ضد مقاومة أهل فلسطين للمخطط الصهيوني الرامي إلى استلاب أراضيهم ، كما أنهم وظفوا هذه الدعوة ضد دعوة السلطان عبد الحميد الثاني للجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى .

4- محاربة لغة الكريم – اللغة العربية – ثم ادعاء نبوة جديدة ، ودين جديد ناسخ للإسلام وللأديان جميعاً ، هو دين البهائية .

٥- إبطال الشريعة الإسلامية وأحكامها ، وبالذات في شأن المرأة ، فهم دعاة للاختلاط المطلق بين الذكور والإناث ، وإلى مساواة المرأة بالرجل مساواة مطلقة .

6- دعوة السلام العالمي التي تخدم إسرائيل واحتلالها لفلسطين ، والأراضي العربية ، ثم أيضاً دعوى الصهيونية العالمية بالسيطرة على العالم .

٧- الترابط بين اليهودية – التلمودية – والبهائية ، ومتابعة اليهود في منهجهم ، والاستمداد من التراث اليهودي .

٨- ادعاء البهاء للإلوهية ، ذلك أنه أدعى أولاً خلافة الباب ، ثم أدعى أنه المهدي المنتظر ، وأنه المسيح ، وأن جميع الأنبياء بشرت به ، ثم أعلن في نهاية المطاف أنه إله ورب ، وأنه " بهاء الله " – و" مظهر الله " ، و" ومنظر الله " الذي يتجلى في طلعته جمال الذات الإلهية .

٩- دعوى البهائين بعدم انقطاع الوحي والرسالة ، لأن انقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ليس له سند في منطق الواقع كما يزعمون ، ويقولون أن الرسل شخص واحد ، ورسم واحد ، وذات واحدة ، وحقيقة واحدة.

١٠- إيمانهم بتناسخ الأرواح ، وينكرون الثواب والعقاب كما قال به الإسلام ، كما ينكرون اليوم الآخر .

والغرض من كل هذه الدعاوى والأفكار الباطلة هي القضاء على الإسلام ، والعمل على فرقة أهله حمايةً للاستعمار الغربي – وقد أفتى علماء المسلمين بكفر البهائين وخروجهم عن الإسلام.**

المحاضرة التاسعة

....أساليب إضعاف العالم الإسلامي:

٢- الاستشراق :

الاستشراق – كما يعرفه أهله – هو اشتغال طائفة من الباحثين بدراسة علوم الشرق وحضارته ، وأديانه ، ولغاته وثقافته ، وأسهم تياره في صناعة التصورات الغربية عن العالم الإسلامي والعربي ، وعبر عن خلفية الصراع الحضاري – القديم والحديث – بين الغرب والشرق ، بالمستشرقين عندما درسوا الإسلام ، مبادئه ، وحضاراته وتاريخه تحت ستار ما يسمى بالبحث العلمي مثلاً ، لم يلتزم معظمهم بموضوعية البحث العلمي ، فلم يحرصوا على إظهار الحقيقة بل عمدوا إلى تشويهها بباعث من التعصب البغيض، والحقد على الإسلام وأهله ،والرغبة في طمس معالمه ، وهذا التعصب – كما يراه الكثيرون – راجع في جذوره إلى الحروب الصليبية ونزعتها العدائية للإسلام ، ومن ثم يمكن وصف الاستشراق بأنه أسلوب جديد وغريب للسيطرة على الشرق ، وإلى الهيمنة الفكرية ، والسيطرة على مقدرات المنطقة سياسياً واقتصادياً .

تباينت وجهات نظر المفكرين في ظاهرة الاستشراق – أسبابها ودوافعها – وتعددت الآراء في تحديد فتراتها التاريخية ، بيد أن معظم المهتمين بالأمر أعادوا منطلقاتها الرئيسية إلى نزعة التعصب الديني ، وسمة الاستعلاء السياسي عند الغرب ، وأرجعها بعضهم إلى دوافع شخصية ، حين ازدهرت العلوم الإسلامية في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، وانتشرت المراكز العلمية في العالم الإسلامي ، وإلى حوافز ثقافية ممن أغوتهم فكرة الاطلاع على ثقافة الغير

، والتعرف على حياتهم الاجتماعية ، والدينية والحضارية – لكن هؤلاء المستشرقين لم يكونوا على درجة واحدة من الإخلاص للعلم والمعرفة في أبحاثهم المتنوعة ، فهناك طائفة منهم أخلصت ، وكانت موضوعية في أبحاثها ، واستطاعت – على قلة عددها – أن تنصف الإسلام وتاريخه ، وحضارته من الافتراءات والمغالطات المردودة ، ولعل من أهم أولئك المستشرق ليوبولد فايس – الذي أسلم وتسمى باسم محمد أسد ، والمستشرق المبشر والذي أسلم أيضاً إبراهيم خليل أحمد – وهناك آخرون .

أما الطائفة الثانية من المستشرقين – وهي الأكثرية – فقد تعمدت الدس والتشويش ، وتقصت سلبيات المجتمعات الإسلامية ، فضخمتها محاولةً أن تجعل من التفاصيل قضايا عامة ، ملحقةً أخطاء بعض المسلمين بالدين نفسه ، بغية إضعاف مواطن القوة ، واغتنام أماكن الضعف ، ولم يترك هؤلاء منفذاً يؤمن هدفهم ، ومصلحة دولهم السياسية إلا استفادوا منه ، سواء عن طريق التأليف والنشر ، أو عن طريق الجمعيات العلمية ، والمدارس ، والجامعات ، وإقامة المؤتمرات والندوات – وهم في كل ذلك لا يريدون سوى : إيجاد دراسات تاريخية ودينية تشوه الإسلام .

إن معظم المعطيات التي بين أيدينا – من كتابات المستشرقين الأدبية ، والتاريخية ، والسياسية والدينية ، تدين حركة الاستشراق وأهدافها المشبوهة ، وتربطها بعجلة السياسة الغربية التي لم تتردد يوماً عن استخدام كل الوسائل والسبل للوصول إلى غايتها الاستعمارية ، ويمكن تلخيص أهداف حركة الاستشراق في أمرين :

الأول : التبعية للغرب ، والاستسلام لقيمه المادية الحديثة .

الثاني : بث روح التخاذل الديني بين المسلمين ، بالتشكيك في دينهم ، وتاريخهم وإرثهم الحضاري ، وذلك بالتركيز علة النواقض والسلبيات في هذه الجوانب ، وبتأويل النصوص الدينية ، وشرحها شروحاً منافية للتعاليم الإسلامية ، مما يقوي فكرة الشكل ، ويضعف الرابطة الدينية ، ويؤدي إلى ((تغريب)) العقلية الإسلامية .

إن نظرةً سريعة إلى أعمال معظم المستشرقين تكشف بوضوح مدى محاولتهم تشويه التراث الإسلامي ، والدس على الإسلام بمختلف الأساليب ، ونشر الأباطيل حوله ، مثل القول ببشرية القرآن ، والادعاء بأنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعواهم بأن الإسلام اقتباس من الأديان السابقة ، اليهودية والنصرانية ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تأثر بتعاليم تلك الأديان ، وحرف في نصوصها ، وجعل القرآن – على حد قولهم – مضربة ، كما أنهم صوروا القرآن على أنه دين العنف والدماء للانتقاص من مكانة الجهاد ، وشككوا في قدرة الإسلام واللغة العربية في مسايرة التطور ، وقالوا إن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني ، وأثاروا ما يسمى بقضية تحرير المرأة – وموقف الإسلام منها ، وغير ذلك من الإدعاءات والأباطيل .

كما أن الاستشراق نال من المناهج التعليمية ، والثقافية ، والفكر في العالم الإسلامي خاصة على يد تلاميذ المستشرقين ، والغرض من ذلك خلق جيل لا يعرف دينه جيداً ، ولا يعرف حضارته إلا بصورة شائنة بسبب تلك المناهج التعليمية ، وبسبب ما بثه المستشرقون من أباطيل حول ثقافة الإسلام وفكره ، وكل هذه العوامل تضعف من فكر الأمة ، ومن ثقتها بنفسها وبعقيدتها ، فيسهل على المستعمر استعبادها .

وكما يلاحظ أن الاستشراق أصبح بعد الحروب الصليبية ذا صبغة سياسية ودينية ، وأن بعض رجاله اهتموا بدراسة بلاد الشرق وعلومه ، تحت دوافع سياسية مشوهة ، حيث ظهر أن معظم كتابات المستشرقين في الدول المستعمرة ذات أهداف مشبوهة وأحكام مسبقة ، لم تلتزم بالأمانة العلمية ، ولكن هناك بعض الأعمال الجليلة التي قام بها بعضهم ، فقد بلغ ما ألفوه في قرن ونصف القرن منذ أوائل التاسع عشر الميلادي حتى منتصف العشرين ستين ألف كتاب فيه الغث وفيه الثمين ، وفيه المتحامل ، وفيه الموضعي ، وقد لاحظ بعض الدارسين لحركة الاستشراق أن الألمان من أكثر المستشرقين دقة في التأليف ، وموضعية في استقصاء الحقائق التاريخية ، وربما يعود ذلك إلى ان ألمانيا كانت أقل الدول الأوروبية استعمارية ، وقد تجلى هذا الإخلاص في البحث والمعرفة من خلال الأعمال التي قام بها ((جوهان جاكوب رايسكه)) سنة١٧١٦ – ١٧٧٤ هـ مؤسس الدراسات العربية في ألمانيا والذي تفانى في دراسة وخدمة اللغة العربية وآدابها ، وهناك آخرون أمثاله ،

ولعل الدور المطلوب حالياً من رجال الاستشراق ، بعد أن أصبحت عملية التعارف بين الشرق والغرب ممكنة وسهلة ، هو أن يقوموا على دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، والأخذ بمنجزات العصر الحديث ومكتشفاته ، والانفتاح بإخلاص وموضوعية على منجزات الشرق الإسلامي وحضارته الإسلامية العريقة .

- حركة التنصير والبعثات التنصيرية :2

التنصير هو عملية التحول إلى النصرانية سواء من الإسلام أو غيره من الديانات السماوية كاليهودية ، أو التقليدية كالوثنية وغيرها ، وللتنصير وسائله المتعددة من مدارس ، ومعاهد ، وجامعات ، ومستشفيات ، وملاجئ ، وصحافة ، وأفلام ، وإذاعة ، ودور نشر، وندوات ومؤتمرات ، وغيرهما من الأساليب والتكتيكات المدروسة والمجربة .

ودوافع حركة التنصير نابعة من العداء الذي يشعر به الغرب والكنيسة النصرانية للإسلام ، ومن خوفهما منه ، بسبب الاعتقاد الراسخ بأن الدين الإسلامي هو العقبة الحقيقية القائمة في طريق تقدم حركة التنصير في العالم ، وفي سبيل سيطرة أوروبا على الشرق الإسلامي ، فالعداوة بين الإسلام وبين الغرب مزيج من عدة دعاوي دينية وسياسية ، ففي جانب الدعاوى الدينية يقول أحد دعامات حركة التنصير المدعو " زويمر " – " إن الهدف من التبشير هو تحويل المسلمين عن التمسك بدينهم " – ويقول غلادستون أحد رؤساء وزراء بريطانيا السابقين " ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان " – ويقول متنصر آخر : " إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقيا " .

أما من جانب الدعاوى السياسية ، فإن المتنصرين في نظر الاستعمار هم عيونه الذين يقومون بتمهيد السبيل له باستعمار الأمم الإسلامية ، فيمدونه بما يحتاجه من معلومات عن المسلمين وعقائدهم ، وآدابهم ، وثقافاتهم ، ويعملون على إظهار المستعمرين في غير مظهرهم الحقيقي حتى لا يتحد المسلمون في مقاومتهم له .

فالتنصير إذاً يهدف إلى تغريب أبناء الشرق المسلم ، وإبعادهم عن دينهم وقيمهم وربطهم بأوروبا ، وإلى تقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية .

والذي لاشك فيه أن حركة التنصير خطر داهم على الإسلام والمسلمين لأنه تتستر وراءه مظاهر براقة خداعة ، من ذلك وسائله والتي تبدو وكأنها أعمال خير ، وهي ليست كذلك ، فالغاية منها ليست خيراً ، وإنما الوصول بالنصرانية إلى الشعوب الأخرى – المسلمة وغيرها – وإنشاء المستشفيات والمصحات والملاجئ ، والأندية ، والجمعيات الاجتماعية ، والأندية ، والمخيمات والإعلام وغيرها من الوسائل ، بغرض نشر دينهم النصراني .

ومن أهم وسائل التنصير :

أ- إدخال المسلمين إلى الديانة النصرانية .

ب- فتح المؤسسات التعليمية ، من رياض للأطفال ، ومدارس ، ومعاهد ، وكليات ، وجامعات في أنحاء العالم الإسلامي .

ج- تحطيم الحواجز بين المسلمين والكفار تحت ستار المساعدات الإنسانية الطبية والغذائية ، وبخاصة في إندونيسيا ، وبنغلاديش ، وبعض البلدان الأفريقية.

د- التركيز على إفساد المرأة المسلمة ، ومحاربة اللباس الشرعي (الحجاب) .

هـ- مراقبة العالم الإسلامي ، والتجسس عليه ، ورصد الحركات الإسلامية ، والثابت الآن أنه لكثير من المؤسسات التنصيرية صلات مباشرة بدوائر الاستخبارات في بلادها .

و- السيطرة على العالم الإسلامي عن طريق التغيير التعليمي ، والعمل الاجتماعي ، بإحداث المؤسسات ، وتقديم الخدمات المختلفة تحت ستار الإنسانية ، وكذلك عن طريق المشروعات الاقتصادية والعمرانية .

وكنموذج لاستهداف المتنصرين للعالم الإسلامي نورد مثالاً وحداً هو استهدافهم لإندونيسيا المسلمة ، ومنه سندرك حجم التآمر الذي تتعرض له بلدان المسلمين ، وما يستوجبه ذلك على الأمة الإسلامية من يقظة وحذر ، فالغارة التنصيرية على هذا البلد نشطة على الحد البعيد ، وفي سباق مع الزمن لتحقيق أهدافها ، لقد وضعوا خطة عملهم ضد إندونيسيا في مؤتمرهم الذي عقدوه في مدينة (مالانج) الإندونيسية في عام ١٩٦٧م ، حيث قرروا أنه يجب الانتهاء من تنصير جزيرة " جاوا " والتي بها حوالي ٦٥ مليون نسمة خلال ستين عاماً ، بكل السبل والوسائل ، ولو عنى ذلك شراء المسلمين بالمال في ذلك البلد الفقير – ولدينا إحصائية توضح مدى الخطر الذي يهدد المسلمين في إندونيسيا ، وهي :

(إحصائية لعام ١٩٩٠م لمجلس كنائس إندونيسيا لطائفة البروتستانت) والتي توضح أنه يوجد في إندونيسيا :

- ١٥٨١٩ كنيسة بروتستانتية .

- ٦٩٩٧ قسيس بروتستانتي .

- ٢٠٢٠٣ متنصر (مبشر) متفرغ .

إحصائية لعام ١٩٩٠م للكنيسة الكاثوليكية في إندونيسيا والتي توضح :

- ١٠٥٢٠ كنيسة كاثوليكية في إندونيسيا .

- ٨٧٣٠ قسيس كاثوليكي .

- ١٠١١٦ متنصر (مبشر) متفرغ .

ليس هذا فحسب بل إن مؤسسات التنصير تملك عدداً كبيراً من السفن ، والطائرات العمودية لمساعدة المتنصرين على الانتقال بين المدن والقرى ، والثلاثة آلاف جزيرة التي تتكون منها إندونيسيا – كما أن المتنصرون يمتلكون عدداً كبيراً من دور النشر ، والمطابع الحديثة التي تقوم بطباعة كتب الأطفال ، والقصص المصورة ، وطباعة الإنجيل وتوزيعه مجاناً ، هذا بالإضافة إلى المكتبات العامة ، وشبكة اتصالات لاسلكية حديثة لتنسيق أعمال الإرساليات ولهم وسائل إعلامهم من صحف ، وإذاعات محلية في شتى أنحاء البلاد ، ولهم عشرات المعاهد ، والجامعات ، والمستشفيات الكبرى والمتنقلة ، وتكفي الإشارة أن مؤسسة تنصيرية واحدة تقوم على ١٨٠ مستشفى ، ١٢٩ مستوصف للولادة ، ٣٤٥ صيدلية ، و٤٥ عيادة متنقلة .

كما أن مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان يسهمون بطريقة مباشرة في أعمال التنمية في إندونيسيا تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمع)، حيث أنشأوا " هيئة مجلس الكنائس " للمساهمة في أعمال التنمية كمدخل جديد للوصول إلى قطاعات من السكان لا يستطيعون الوصول إليها بالطرق التقليدية ، وهناك العديد من المنظمات الأمريكية غير الحكومية العاملة في مجال التنصير والتي تحصل على دعم من بعض وكالات الأمم المتحدة ، مثل منظمة الصحة العالمية ، WHO ، ومنظمة الأغذية العالمية FAO ، ومنظمة اليونسكو ، واليونسيف إلخ ، علماً بأن الدول العربية والإسلامية تسهم في ميزانيات منظمات الأمم المتحدة تلك ، ومن تلك المنظمات المستفيدة من دعم الأمم المتحدة هي :

أ- مجلس الإرساليات الطبية الكاثوليكية والذي يعمل من خلال الطب والصحة والعامة .

ب- خدمات الإغاثة الكاثوليكية .

ج- صندوق الأطفال المسيحي .

د- جمعية الرحمة الدولية ، وتعمل في مجال رعاية الأيتام ، والأطفال اللقطاء إلخ .

هـ- المنظمة الكاثوليكية .

وهذه مجرد أمثلة لبعض المنظمات التنصيرية المدعومة دولياً والتي تعمل في جد ومثابرة في إندونيسيا .

وإلى جانب هذه المنظمات فإن هناك العديد من المدارس ، والمعاهد والمستشفيات ، وملاجئ الأيتام ، ودور العجزة ومراكز الشباب التي تتبناها وترعاها منظمات ومؤسسات تنصيرية في هولندا – الدولة التي كانت تستعمر إندونيسيا .

ويبقى الفقر منفذاً أساسياً يتسلل منه المتنصرون إلى صفوف المسلمين ، ولابد للحكومات والمنظمات الإسلامية من سد هذه الثغرة ، والتنبيه لخطر حركة التنصير ، والوقوف – بطرق علمية مدروسة – أمام مخططاتها الشريرة .. فهي تعمل عبر وسائل ماكرة خادعة .

٤- الميراث الاستعماري:

اهتم الاستعمار بتشجيع النزعات القومية والعنصرية برغم أن الإسلام دين لكل البشر ، والناس كلهم سواسية في الإسلام ، وأمته أمة واحدة ، دينها واحد ، ورابطها واحد ، وليس في الإسلام عصبية ، أو قبلية ، أو قومية ، فقد حاربها الإسلام جميعاً حينما جعل المسلم أخا المسلم ، فقال سبحانه وتعالى في سورة الحجرات :{ إنما المؤمنون أخوة } .. ولما كان الاستعمار يدرك هذه الحقيقة ، ويعلم أهميتها بالنسبة للمسلمين ، فقد عمل على إزالتها من نفوسهم ، فمثلاً أراد أن يبعث في مصر فكرة " الفرعونية " التي تقوم على إحياء التراث العمراني – تراث ما قبل الإسلام – والاعتزاز به ، كما بعث " الفارسية " في إيران ، وسوغ لها وللحضارات الفارسية القديمة السابقة لحضارة الإسلام ، الاعتزاز بتاريخ الفرس القديم ، وكذلك أثار الاستعمار دعوى " الفينيقية " في بلاد الشام لنفس الأسباب والأهداف ثم " الآشورية " في العراق ، و " البربرية " في المغرب ، ولكن أهل المغرب قاوموها ، والغرض من كل هذه الدعوات الإقليمية الضيقة هو سلخ أجزاء العالم الإسلامي بعضها عن بعض تمهيداً لاستعمارها والسيطرة عليها .

ولما لم تنتصر هذه الدعوات الضيقة لجأ الاستعمار إلى نشر أفكار جديدة ، مثل فكرة العروبة التي أراد لها أن تكون رابطة قومية للعرب مناقضة للإسلام ، ثم أشعل النار بين القوميتين – العربية والتركية – وحاول التفريق بينهما ، بعد أن كان الإسلام يجمع بين الأمتين على مدى العصور الإسلامية المختلفة .

وفي ظل القومية العربية انسلخ القوميون عن جسم العالم الإسلامي ، ونظروا إلى قضاياه بما ينسجم ونظرتهم القومية ، لا كما يمليه عليهم إسلامهم ، فمثلاً سميت قضية فلسطين بالقضية العربية كأن لا علاقة للدول الإسلامية غير العربية بها ، وهي في الواقع قضية إسلامية .

والغرض من إثارة كل هذه الأفكار العنصرية الضيقة سواء كانت قومية ، أو وطنية ، أو اشتراكية ، وغيرها – هو اعتبار الدين عنصراً لا أهمية له ،

ولعل من أوضح الأمثلة على تشجيع الاستعمار للنعرات العنصرية مشكلة جنوب السودان ، ومشكلة الأكراد في العراق ، وتركيا وسوريا وهو ما سنتناوله بشيء من التوضيح فيما يلي :

أ- مشكلة جنوب السودان :

هي مشكلة ورثها السودان من الاستعمار البريطاني ، وهي من صنع ذلك الاستعمار ، الذي سعى بكل السبل إلى تعمق الفوارق العرقية ، والدينية والثقافية بين شمال السودان وجنوبه بهدف فصل الجنوب عن الشمال – فعزل الجنوب إدارياً ، وثقافياً ودينياً عن الشمال ، وأدخل في روح الجنوبيين أنهم مستعمرون من سكان الشمال المسلمين ، وأن العرب في الشمال يستغلونهم ويغمطونهم حقوقهم السياسية والاقتصادية ، وأن أهل الجنوب عرقياً مختلفين عن أهل الشمال ، ومن أجل تعميق هذه الأفكار وغيرها أطلق للإرساليات التنصيرية يدها في الجنوب ، فمنحها كل ما تحتاجه من عون وسند ، وبالمقابل حارب الإسلام هناك ، ومنع انتشاره بكافة السبل ، وسن القوانين لمنع اختلاط أهل الشمال بأهل الجنوب خوفاً من أن ينتشر الإسلام بينهم ، وقد أدت سياسة العزل السياسي والحضاري هذه إلى المواجهة بين الشمال والجنوب ، وليست الحرب الدائرة في جنوب السودان الآن – والتي تستنزف موارد البلاد كلها – حرباً بين الإسلام والنصرانية كما تصورها أجهزة الغرب الإعلامية الاستعمارية ، وإنما هي نتيجة لتفاعلات الخلافات الحضارية ، والثقافية والسياسية التي زرعها الاستعمار البريطاني ، والمؤسسات الكنسية في أرض الجنوب ، وهي أيضاً نتيجة الأباطيل التي ملأ بها الاستعمار عقول بعض الجنوبيين ممن تخرجوا في مدارس الجنوب ،

ب- المشكلة الكردية :

وهي أيضاً من صنع الاستعمار يوم أن خطط الحدود السياسية التي تفصل بين أمة تركية وأمة عربية ، وأمة إيرانية – ثم فرق الأكراد ،وألحق كل مجموعة منهم بوطن من أوطان هذه الأمة الإسلامية ، فمزق هويتهم ، وعمق إحساسهم بالضياع والتشتت ، فمواطنهم متعددة وواقعة في أرض وعرة التضاريس ، بعضها في شمال العراق ، وبعضها الآخر في شرق ، أو جنوب شرق تركيا ، وبعضها الثالث في غرب إيران ، ومن ثم تولد للأكراد شعور بأنهم حبيسوا هذا الوطن المحدد تحيط بهم الأمة العربية والأمة الإيرانية ، والأمة التركية من كل جانب ، وأنهم سلالياً مختلفين عن هذه الأمم –

ج- المشكلات الحدودية :

وهذه من أقسى المشكلات التي ورثتها الاستعمار للحكومات الوطنية التي خلفته في حكم كثير من بلدان العالم الإسلامي ، فقد قسم الاستعمار البلاد الإسلامية التي سيطر عليها إلى مناطق نفوذ ، بريطانية ، وفرنسية ، وإيطالية إلخ ، ثم قسم مناطق النفوذ تلك إلى مناطق وحدات متعددة وقد بدى ذلك واضحاً في سياسة الاستعمار الفرنسي في سوريا ، حيث قسمها إلى أربع وحدات ، ثم إلى وحدتين هما : سوريا ولبنان ، وسياسة الاستعمار في كل ذلك هي ترسيم حدود جغرافية مصطنعة دون مراعاة لخطورة تمزيق العناصر البشرية الواحدة ، وهد الاستعمار دائماً هو تمزيق العالم الإسلامي جغرافياً وسكانياً ، وخلق بؤر صراع بين كل دولة وجارتها وبخاصة في المناطق ذات الثراء الاقتصادي ، فمثلاً عمد إلى خلق ما يعرف بالمناطق المحايدة بين بعض الدول الخليجية وغيرها ، الأمر الذي أثار صراعات حدودية بين تلك الدول ،فهناك الآن صراع بين المغرب والجزائر على بقعة من الأرض ذات ثراء معدني ، ثم كانت قضية الصحراء المغربية ، ثم اقتطع الاستعمار لواء الإسكندرونة السوري وألحقه بتركيا ، وهناك قضية شط العرب والحدود بين إيران والعراق ، وقضية كشمير بين الهند وباكستان ، وبين بعض دول الخليج ، بعضها مع بعض ، والتي وصل بعضها إلى محكمة العدل الدولية بلاهاي .

د- سيطرة ثقافة المستعمر :

من الإستراتيجيات التي اعتمد عليها الاستعمار في تركيز هيمنته على الدول الإسلامية الواقعة تحت سيطرته ، تغليب ثقافته ولغته على ثقافة ولغة تلك الدول ، وخلق طبقة من متعلمي ذلك البلد – تعملوا في معاهده وعلى يديه – لتقوم بأعباء الحكم من بعده ، وهذا ما عرف بتهيئة الأقليات للحكم ، وبخاصة الأقليات النصرانية التي ستقوم برعاية مصالحه (المستعمر) على حساب مصالح أممها الإسلامية ، فمثلاً تتحكم الأقليات النصرانية الحاكمة في عدد من البلاد الأفريقية ذات الكثافة المسلمة ، كان ذلك في تشاد – على سبيل المثال – وحتى عهد قريب – فقد حكمت تلك البلاد فئة تقل نسبتها عن ١٠% من نسبة السكان المسلمين - وقد تغير هذا الوضع الآن ، أما في أرتيريا ، وأثيوبيا وتنزانيا مثلاً فالحكم للأقلية النصرانية التي تتحكم في رقاب الكثرة المسلمة هناك ، ولعل السبب في ذلك أن الاستعمار قد عمل في تلك البلاد وغيرها على جعل الأكثرية المسلمة في حالة من الجهل ، والفقر والتأخر بحيث لا تستطيع تولي المراكز القيادية في الدولة ،

هـ - إسقاط الخلافة الإسلامية في الدول العثمانية :

عمد المستعمرون بعون من الصهيونيين والعلمانيين – كما رأينا في موضع سابق– إلى إسقاط الخلافة العثمانية ، لكونها نواة اتحاد المسلمين ، ولكونها أساس الحكم في الإسلام ، والقائمة على أمور المسلمين كلهم ، وقد تعرضنا سالفاً لكيفية إسقاط الخلافة ، والآثار السلبية التي ترتبت على إسقاطها .**

المحاضرة العاشرة

اتجاه مقاومة الاستعمار الغربي في القرن

الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)

الصحوات الإسلامية :

لمصطلح " الصحوات الإسلامية " عدة معاني : فهو يطلق مثلاً على الحركات الإسلامية التي ظهرت في بعض بلدان العالم الإسلامي ، خاصة في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، التي قامت بهدف محاربة ما ساد تلك البلاد من سلوك وممارسات تتنافى مع جوهر الدين الإسلامي الحنيف ، وذلك عن طريق إعادة الدين إلى مكانته الأولى التي عاشها زمن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وزمن خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم جميعاً ، أي الرجوع إلى دين السلف الأول الخالي من البدع والضلالات .

ولقد كانت إحدى تلك الحركات دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في نجد ، وكذلك الدعوة السنوسية التي اتخذت من برقة بليبيا منطلقاً لها ، والثورة المهدية في السودان ، ويشمل مصطلح " الصحوات الإسلامية " إلى جانب هذه

الحركات الثلاث ، فكرة " الجامعة الإسلامية" التي تزعم الدعوة إليها جمال الدين الأفغاني ، وساعده في نشرها صديقه وتلميذه المصلح الإسلامي محمد عبده ، وحمل لواءها من بعد ذلك الشيخ رشيد رضا ، صاحب مجلة " المنار" الإسلامية ، وأنصاره ممن ساروا على دربه السلفي .

واتسع مدلول مصطلح " الصحوات الإسلامية " ليشمل الحركات التحررية التي شهدتها بعض بلدان العالم الإسلامي ، الرامية للتخلص من السيطرة الاستعمارية المعادية للإسلام وأهله ، كما أصبح هذا المدلول يطلق على بعض المشروعات الوحدوية الإسلامية والعربية التي تعمل على جمع شمل المسلمين ، وتعزيز تضامنهم ، مثل منظمة المؤتمر الإسلامي ، ورابطة العالم الإسلامي ، وما تفرع عنهما من مؤسسات ثقافية ، واقتصادية ، وإعلامية .

وهناك من يرد بدايات هذه الصحوة إلى أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي – حيث كانت أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عاش وعايش دمار التتار في العالم الإسلامي ، فدعا الى الرجوع إلى إسلام السلف الصالح الخالي من البدع والشوائب ، وإلى فتح باب الاجتهاد ، وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين لأنها لاتتفق مع الروح السلفية.

١- الحركة السلفية في نجد :

نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي في نجد حيث انتشر المذهب الحنبلي بعد موت الإمام أحمد بن حنبل في عام ٢٤١ هـ في بلدة " العيينة " سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م في أسرة علمية ميسورة الحال و" العيينة " قرية باليمامة غرب مدينة الرياض ، تتلمذ على أبيه ، وحفظ القرآن الكريم عندما بلغ العاشرة من عمره ، وأحاط في حلقة أبيه بكتب السلف ، وبخاصة بمؤلفات ابن تيمية، وقد تأثربها ،وكان لشخصية ابن تيمية أثر واضح في تكوين شخصيته، ثم أثر الرحلات التي قام بها في طلب العلم ، فقد زار الحجاز حاجاً وشهد هناك مظاهر كثيرة للشرك من تعظيم للقبور ، واستغاثة بالموتى ، كما أنه تأثر بما شاهده في المسجد الحرام من حلقات طلاب العلم حول مشايخ يدرسون مختلف العلوم النافعة ، وبما لاحظه من وحدة إسلامية متجلية في مشاعر الحج ، وكانت هذه الانطباعات حافزاً له لمواصلة تعليمه ، ثم زار المدينة المنورة ورجع إلى بلده العيينة ، ولكنه سرعان ما رجع مرةً أخرى إلى الحجاز لتلقي العلم على علمائه ، وهناك أدرك حاجة الأمة بعامة ، وحالة نجد والحجاز بخاصة للإصلاح ، ثم عاد إلى نجد ، وارتحل مرة أخرى إلى البصرة طلباً للعلم ، فدرس فيها الفقه والحديث على عدد من علمائها ،

وفي البصرة رأى الشيخ محمد كثيراً من الأمور التي كانت مخالفة للحق ، فاستنكر كل ذلك في مجالسه ، مما أثار عليه بعض العامة ، فأخرج من البصرة، وتوجه إلى الأحساء ، ثم إلى حريملاء ، وفيه أي " حريملاء " وضع كتابه " التوحيد الذي هو حق المولى على العبيد " وأعلن دعوته ، فحاولوا قتله ، فهجر " حريملاء " إلى بلدة " العيينة " حيث ناصره أميرها عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر ، فجاهر بدعوته ، وازداد أتباعه ، وظهر أمره لمساندة السلطة له ، وفي العيينة بدأ تطبيق مبادئ دعوته ، فقام هو وأتباعه بقطع الأشجار التي يتوسل بها الجهال ، وهدم القبة المبنية على قبر في الجبلية كان الناس يظنون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنهم.....

وبعد إخراج الشيخ محمد من العيينة ، ذهب إلى الدرعية ، وهناك كان إئتلافه مع أميرها محمد بن سعود ، وتعاهدهما على نشر الدعوة ، وتطبيق مبادئها ، فكان قيام الدولة السعودية الأولى على منهاج هذه الدعوة السلفية .

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تنادي بمذهب جديد ، وإنما تنادي بإحياء الدين ، والدفاع عن السنة ، والوقوف في وجه الخارجين عليها ، والشيخ يجتهد برأيه..

.. وقد أقام دعوته على المبادئ التالية :

١- العودة بالإسلام إلى صفائه الأول ، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة في معالجة أمور الحياة .

٢- الدعوة إلى التوحيد ، وتحرير الذات الإنسانية من الاستعباد للبشر ، فلا إله إلا الله وحده ، والخلاص من كل ما يتنافى مع التوحيد وكماله ، مثل التبرك بالأولياء ، والتمسح بالمشايخ ، والتقرب إلى الله بزيارة قبور الصالحين .

٣- إنكار تأويل القرآن ، والاهتمام بظاهر النص .

٤- فتح باب الجهاد ، وتحرير الفكر الإنساني من مذلة التقليد .

٥- الدعوة الصادقة للإسلام بالجهاد في سبيل الله ، آمراً بالمعروف أو ائتماراً به ، ونهياً عن المنكر ، أو انتهاءً به ، ومن ثم فقد تعاهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن مسعود على الحرب ، وخاض معاركها .

ومن ثم فإن أهم ما تهدف إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إفراد الله سبحانه بالعبادة ، ومحاربة الشرك بجميع أنواعه ..

وقد كان لهذه الدعوة آثار واضحة في عدد من بلدان العالم الإسلامي ، وكان لأثرها أسباب ، منها :

١- أن الدعوة قامت وترعرعت وقويت في أواسط الجزيرة العربية – بعيدة عن التحديات الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي كله من خلال النفوذ الاستعماري الزاحف .

٢- كما أن الدعوة انبعثت في الجزيرة العربية – مهد الإسلام – وأنها استهدفت كل المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي قاصدين بيت الله الحرام .

وقد حرص الاستعمار – من ثم – على وأدها والقضاء عليها ، فأوغر صدر الدولة العثمانية عليها ، وأوهمها أن فيها خطراً عليها وعلى نفوذها ، فأوعزت الدولة بدورها إلى محمد علي باشا في مصر بإسقاطها ، فجرد عليها الجيوش ، واستطاع القضاء على دولتها في الدرعية ، ولكنه لم يستطع القضاء على الدعوة وفكرها ، فاستطاعت الدعوة أن توسع مداها ، وتاثر بها دعاة سلفيون آخرون في الهند ، والعراق ، والشام ، ومصر ، والمغرب ، فكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد ، وجمال الدين القاسمي في الشام ، وخير الدين التونسي في تونس ، وأحمد بن عرفان الشهيد ، وصديق حسن خان في الهند ، وعثمان دن فوديو في أفريقيا ، وغيرهم ، وانبعثت منها حركات ودعوات أخرى ، كالسنوسية في الشمال الأفريقي ، والحركة المهدية في السودان .

- الحركة السنوسية في ليبيا :

هي إحدى التيارات الإصلاحية الإسلامية التي نشطت في أنحاء متعددة من العالم الإسلامي منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري / الثامن عشر – التاسع عشر الميلادي ، بهدف القضاء على البدع ، والعودة بالإسلام إلى نقائه الأول ، مؤسسها هو محمد بن علي السنوسي المولود في إحدى قرى الجزائر في عام ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٨ م، والمتوفى في ليبيا عام ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م ، والسنوسية ليست مذهباً دينياً ، أو حركة سياسية قومية نشأت أصلاً لتحقيق أغراض سياسية ، أو مطالب قومية .

تأثر السنوسي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إبان وجوده بمكة ، وكانت غايته هي العودة بالعقيدة الإسلامية إلى جوهرها الأصيل ، وذلك عن طريق نشر الدعاة ، الذين كان يرى أن إنشاء " الزاوية " أمر ضروري لإعدادهم ، ولبث الدعوة ، لا سيما في البيئة الصحراوية ، خاصة وان السنوسية كانت قد اتخذت من الصحراء الليبية ميداناً لنشاطها .

وتتفق السنوسية في مبادءها مع كافة المبادئ التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كالعودة بالإسلام إلى نقائه الأول ، والتركيز على الكتاب والسنة ، وفتح باب الإجتهاد ، وتنقية الدين مما علق به من ضلالات وبدع...

وقد استطاعت الدعوة السنوسية أن تنتشر في شمال أفريقيا ، وأجزاء من غربها ، وأن تنشر الإسلام بين القبائل الوثنية هناك عن طريق دعاتها وزواياها المنبثة في كل مكان – والسنوسية امتداداً للدعوة السلفية وإن اختلفت في وسائل نشر مبادئها ، وقد تحولت السنوسية كليةً إلى مقاومة عسكرية مسلحة عندما دخلت إيطاليا إلى إقليم طرابلس الغرب في عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

واستطاعت السنوسية أن تحقق عدة نجاحات منها : إصلاح المجتمع البدوي الليبي ، حيث أوجدت في الصحراء مجتمعاً متحداً ومتعاوناً ، كما أنها أوجدت سلطة دينية تولت الإشراف على الفرد والجماعة في تلك الأصقاع الصحراوية ، ونشرت العلم والمعرفة الدينية في الصحراء عن طريق زواياه المتعددة ...

٣- الحركة المهدية في السودان

قامت هذه الحركة على يد مؤسسها محمد أحمد المهدي (١٨٤٤ – ١٨٨٥ م) الذي ولد في جزيرة " لبب " جنوب مدينة دنقلة ، لأسرة قيل إنها من " الأشراف " وقد حفظ القرآن في صغره في " خلوة " القرية ، ثم تجول في أنحاء السودان طلباً للعلم ، وتعددت اتصالاته برجال الدين السودانيين ، واصحاب الطرق الصوفية ، وكان لترحاله هذا دخوله في إحدى الطرق الصوفية ثم خروجه منها ، أكبر الأثر في الدعاية له ، كرجل عابد زاهد ، يتأفف عن أكل الحرام ، وقد ساعدته هذه السمعة الطيبة على تكوين جماعة جديدة تأتمر بأمره ، وتنفذ إرشاداته ، كما أن تجواله ذاك مكنه من الاطلاع على

أحوال المسلمين السيئة في شتى أنحاء السودان ،إضافة إلى ذلك فقد اطلع محمد أحمد المهدي في رحلاته تلك على أحوال البلاد السياسية السيئة ، الأمر الذي جعله يفكر في كيفية إصلاح أحوال أهل السودان الدينية والدنيوية ..

وقد اشتهر محمد أحمد بالزهد ، والورع والتقشف ، الأمر الذي دعاه إلى الانتقال ، والعيش في جزيرة نائية على النيل الأبيض – هي الجزيرة " أبا " بغرض الاختلاء والتعبد ، وربما لجمع الأتباع حوله استعداداً لبدء حركة تعمل على إصلاح أحوال المسلمين في السودان – الدينية والدنيوية –..

وكانت تعاليمه تتلخص فيما يلي :

١ – العودة بالإسلام إلى ما كان عليه في أيامه الأولى ، بالاعتماد على الكتاب والسنة .

٢- التوحيد بين المذاهب السنية الأربعة ، والانفراد بمذهب اجتهادي خاص .

٣- حصر الطريق الموصل إلى الله في أمور هي :

أ- صلاة الجماعة . جـ - امتثال أوامر الله ونواهيه .

ب – الجهاد في سبيل الله . د – الإكثار من كلمة التوحيد .

هـ - تلاوة القرآن . و – تلاوة الأوراد .

٤- تحريم زيارة قبور الأولياء ، وتحريم الرقص والغناء ، ومنع البكاء ، وراء الميت ، وإبطال السحر ، وكتابة الحجب ، وشرب الدخان والخمر .

٥- البساطة في الملبس ، والمأكل ، وحفلات الزواج .

٦- القضاء على الفساد السياسي في السودان ، وبقية الأقطار الإسلامية ، والإحاطة بالنظام القائم – أي النظام العثماني ، وقد كان لهذا الموقف المعادي للدولة العثمانية أكبر الأثر في القضاء على الحركة المهدية .

وقد نجح المهدي في تحرير السودان من الحكم التركي – المصري – كحكم محمد علي وأبنائه للسودان ، واستولى على العاصمة الخرطوم في عام ١٨٨٥ م ، وظلت الدولة المهدية قائمة على حكم السودان حتى قضت عليها حملة مصرية يقودها جنرال بريطاني هو " كتشنر " في عام ١٨٩٩ م ، والذي استطاع بسط الحكم الثنائي في السودان في أعقاب هزيمته للحركة المهدية ، وذلك هو الحكم المسمى بالحكم الانجليزي – المصري للسودان ، والذي كان في واقع الأمر حكماً إنجليزياً محضاً للسودان ، لكون مصر ذاتها واقعة حينئذ تحت الاحتلال البريطاني منذ القضاء على ثورة عرابي في سنة ١٨٨٢ م.

ثانياً : دور الأزهر والقرويين والزيتونة:

كان لهذه المؤسسات التعليمية الدينية دور في مجال الصحوات الإسلامية ، وهو دوراً كثيراً ما أغلفه وأهمله الكتاب والباحثون ، لذا سنلقي الضوء على الدور فيما يلي :

١- الجامع الأزهر :

من أقدم الجامعات الإسلامية التي عرفها العالم ، فقد ظل منذ إنشائه في عام ٣٥٩ هـ بمدينة القاهرة ، سنداً وحامياً للدين الإسلامي ، ولتراثه الفكري كله ، حتى في أحلك الظروف وأصعبها عندما تعرضت مصر والأمة الإسلامية للغزوات التتارية ، والصليبية الاستعمارية التي هددت كيان الأمة الإسلامية ، كما أنه ظل منارة علم وهداية يستضاء به في كل مكان من العالم الإسلامي ...

والأزهر الآن مؤسسة تعليمية حديثة شملها التطور فأصبحت فيه كليات للطب ، والهندسة ، وبقية العلوم العصرية ، ولكنه ما زال الحصن الأمين للدين الإسلامي ، القائم على تراثه ، وتعاليمه ، والعامل على تطويرها ، وتحديثها ، ونشرها بين المسلمين .

٢- جامع القرويين :

يقع في مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، ويرجع إليه الفضل في استمرار الوجود الإسلامي في تلك الديار ، وفي حفظ اللغة العربية ، والتعاليم الإسلامية ونشرها في سائر أطراف أفريقيا الغربية ، وقد أنشئ عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، وظل يؤدي دوره كمصدر إشعاع إسلامي دون انقطاع ، ولم يتعرض إلى ما تعرض إليه الأزهر ، أو جامع الزيتونة ، وهو من أغنى المساجد الإسلامية من حيث فسحة أراضيه ، وكثرة عقاراته ..

وقد لمعت أسماء بعض من تلقوا العلم في القرويين – من أمثال – ابن العربي ، وابن بطوطة ، وان خلدون ، وغيرهم ممن أثروا تراث الأمة الإسلامي الثقافي ، وإليه كانت تلك السفارات من المشرق ، ومن الأندلس وتونس وغيرها ، كسفارة صلاح الدين الأيوبي إلى المغرب ، يحضرون مجالس علمائه ، وينهلون من فيض علمهم ، وقد كان لعلمائه مشاركتهم في أحداث بلادهم السياسية والعسكرية ، فمثلاً كانت استجابة المرابطين لنجدة الأندلس نتيجة – ضمن عوامل أخرى – لفتوى أصدرها علماء جامع القرويين ..

٣- جامع الزيتونة :

أنشئ هذا الجامع في فترة مبكرة في عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م ، وكان له الفضل الأول في إنشاء جامع وجامعة القرويين بفاس ، حيث أمدها بالعلماء ، والمناهج والكتب – وكانت وكأنها فرع له.

ولم يلبث جامع الزيتونة أن تعثر في مسيرته في القرن الخامس الهجري على أثر تغلب عرب " بني هلال " ، وأصبح أثراً بعد عين ،الأمر الذي مكن جامع القرويين من الازدهار ، ورغماً عن نهضة جامعة الزيتونة من جديد ألا أنه عانى ثانية في القرن العاشر من تدخل الأسبان .

وجامع الزيتونة أحد المؤسسات التعليمية الإسلامية في الشمال الأفريقي ، وقد اقترن اسمه في مجال تعليم العلوم الدينية بجامع القيروان في تونس ، وجامع القرويين بفاس في المغرب الأقصى ، وبالجامع الأزهر في القاهرة .

والواقع أن بداية تأسيس مسجد الزيتونة كان في حوالي عام ٨٠ هـ / ٦٩٩ م على يد حسان بن النعمان والي أفريقية في عهد الدولة الأموية ، وقد أعاد بناءه من جديد عبيد الله الحبحاب عام ١١٤ هـ / ٧٣٢ م عندما كان والياً على المغرب ، وربما سمي " الزيتونة " ليكون منارة إسلامية يستضيئ بنوررها وعلمها المسلمون ، وكانت الدراسة فيه على نظام " الحلقات " المعروف ، حيث يتحلق الطلاب حول العلماء يتلقون عنهم المعارف الإسلامية ، مثل الفقه ، وعلوم القرآن واللغة إلخ ، وقد نظمت الدراسة فيه عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م ، فأصبح الحصول على شهادة اجتياز امتحان معين هي الشرط الأساس لأن يصبح العالم مدرساً فيه ، وأصبح الطالب المتخرج منه يمنح شهادة تسمى بشهادة " التطويع " .

ولجامع الزيتونة دور مماثل لدور الجامع الأزهر في مصر وذلك أن كليهما استطاع أن يقوم بدور فاعل في التصدي للفكر الشيعي ، وان يعيد لمذهب أهل السنة والجماعة مكانته الحاسمة الفاصلة في العالم الإسلامي سواء في المشرق أو المغرب ، ففي عهد الفاطميين حاولت هذه الدولة نشر مذهب الشيعة الإسماعيلي بين أهل المغرب ، ومحو المذهب السني ،واستمر الأمر كذلك حتى عهد حاكم تونس المعز بن باديس رابع ملوك الدولة الصنهاجية ، الذي نبذ المذهب الشيعي في عام ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م ، وبايع الخليفة العباسي ، وأعاد تونس إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وقد كان لجامع الزيتونة دور رائد في تأصيل هذا المذهب ، فقد تولى علماؤه مكافحة العقائد المخالفة له ، حتى عم مذهب الإمام مالك بن أنس الديار التونسية ، وهكذا فقد كان " الزيتونة " كما كان " الأزهر " وكما كان " القرويين " مساجد كالحصون حمت العقيدة ، ودافعت عنها ، وحفظتها في أوقات الأزمات والخطوب التي ألمت بالأمة الإسلامية.

المحاضرة الحادية عشرة

.....الصحوة الإسلامية

في العصر الحديث

تحاول الأمة الإسلامية حالياً تجاوز المحن الكثيرة ، والمصاعب التي اعترضت سبيلها رغماً عما أحيك حولها من مكائد ومؤامرات عديدة ، كما تحاول أن تتلمس مواطن القوة لتنطلق من جديد ، خاصة وأنها لا تزال متمسكة بدينها ، مكمن قوتها ، وسر بقائها والذي مكنها من الصمود أمام التحديات الماضية التي واجهتها ، وسيمكنها من الصمود ، ويعيينها على النهوض والمواجهة من جديد بإذن الله .

ولقد شهد القرن الرابع عشر الهجري / العشرين ميلادي ، محاولات ومؤامرات كثيرة وشرسة استهدفت القضاء على الإسلام ، والهيمنة على المسلمين ، ونهب خيرات العالم الإسلامي ، والعبث بمقدراته وقيمه

ومن تلك المؤامرات على سبيل المثال لا الحصر :

١- الأزمات الطائفية والسياسية التي تعرضت لها لبنان في تاريخه الحديث والمعاصر .

٢- الحرب العراقية الإيرانية التي استنزفت موارد وإمكانات البلدين الهائلة ، ودونما طائل أو هدف .

٣- الحرب الخليجية الثانية والتي جاءت نتيجة لاحتلال بلد مسلم لبلد مسلم آخر ، وذلك أمر لم يسبق إليه من قبل ، ولا زلنا نعيش ونعايش نتائجها المأسوية على المنطقة العربية بأسرها .

٤- الهجمة التنصيرية على بلدان أفريقيا وآسيا وبخاصة المسلمة منها .

٥- قضية جنوب السودان التي زرعها الاستعمار الإنجليزي والتي أكلت الأخضر واليابس في السودان ، واستنزفت موارده المادية والبشرية ، ووقفت عقبة في سبيل تطوره ونموه ، رغماً عن إمكانية الزراعية الهائلة .

٦- قضايا الأقليات المسلمة المختلفة ، وكلها حلقات في التآمر على الإسلام والعالم الإسلامي.

ورغم هذه الحلقات المتتابعة من التآمر والكيد للإسلام والمسلمين ، فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي صحوة إسلامية مباركة ، ورجوعاً إلى الله ، بعد أن أصاب العالم الإسلامي اليأس والقنوط ، وأصابته خيبة الأمل في تجارب الفكر الأوروبي الفاشلة ، من ديمقراطية ، واشتراكية ، وتقدمية ، وقومية ووطنية ، وما إلى ذلك من تلك الشعارات الخلابة ، والمبادئ الغربية الوصفية التي حاول الغرب زرعها مكان المبادئ والأسس الإسلامية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فأخذ بعضهم يعود إلى الله ، ولقد تمثلت هذه الصحوة في الدعوة لأن يعيش المسلمون إسلامهم في جوهرة وقيمه الخالدة ، وأن ينطلقوا منه لمعالجة شئون عصرهم ،

ونتيجة لذلك برزت مع نهاية القرن الرابع عشر الهجري / العشرين ميلادي ، مظاهر صحوة جديدة تهدف إلى الرجوع إلى الإسلام ،ومن مظاهرها تخرج شباباً ملتزماً ومتمسكاً بعقيدته الإسلامية رغم دراسته ، مناهج التعليم في المدارس ، والمعاهد والجامعات التي أنشأها دعاة التغريب ، وقد بدأ ذلك في أوساط المثقفين من الأطباء ، والمعلمين ، والمهندسين ومن طلاب الجامعات ، ثم بدأ الاهتمام بجامعات التراث الإسلامي ، فعلا شأن الجامعات الإسلامية ، وأقبل عليها الطلاب من جديد ، وبعد أن كانوا عازفين عنها في الماضي ، وبدأت تنافس ، بل تفوقت في أحيان على الجامعات العلمانية وأصبحت مناراً يرتاده الطلاب من شتى أنحاء العالم الإسلامي وأمثلة الجامعات كثيرة ، منها جامع الأزهرة ، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وجامعة أم القرى ،

وحتى وسائل الإعلام – التي كانت في يوم من الأيام حكراً لفكر العلمانيين والمستغربين - أصبحت في أحيان كثيرة منابر للدعوة الإسلامية ، ومناقشة مشاكل الإسلام ، وسبل النهوض به ، واتسعت دائرة الكتاب الإسلامي أكثر انتشاراً في الأسواق ، وأقبل أصحاب المطابع على طبعه وتوزيعه ، فازدادت العناية بالتراث الإسلامي ، وبنشره ، وقامت هيئات ومؤسسات من أجل ذلك التراث ، ولعل الزائر إلى أي من معارض الكتاب في أي بلد إسلامي – خاصة في البلاد العربية – يلحظ كثرة الكتب الإسلامية ، من كتب التراث ، والمؤلفات الحديثة .

ولعل كل ذلك يشير إلى بروز ظاهرة جديدة ، وهي الاعتزاز بالفكر الإسلامي ، وبدايات عودة الثقة بالنفس المسلمة من جديد ، إذ بدأ المفكرون المسلمون ينتقلون مثلاً من دور الدفاع عن دينهم وقيمهم ، وعن رد الشبهات إلى رد الشبهات إلى دور التحدي ، ومن مرحلة " النظرة الاعتذارية " والاستحياء إلى مرحلة عرض الفكر الإسلامي ، والمبادئ الإسلامية كما هي في ثقة واعتزاز ، وأصبح الكتاب والباحثون المسلمون يعرضون حقائق الإسلام كنظام شامل في حد ذاته ، لا حاجة له في المقارنة بأي نظام آخر ، خاصة عندما اتضحت لهم مثالب النظم الوضعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفشلها التام في حل مشاكلهم ومواجهة التحديات التي تواجههم .

وبدأ المسلمون يعون مشاكلهم المتمثلة في قضايا التخلف ، والجهل والمرض ، وبدأوا يعقدون المؤتمرات والندوات لمناقشتها ، وإيجاد الحلول لها ، وأخذت الرؤى تتضح أمامهم ، فعرفوا خصومهم : الاستعمار ، والصهيونية ، والرأسمالية والشيوعية ، وغيرها من النظريات الغربية الوضعية والعلمانية ، وبدأوا يدركون ويتنبهون لما يحاك ضدهم ، من مؤامرات ، ويعلمون جاهدين للوقوف أمامها .

وكل هذه – وغيرها – مظاهر للصحوة الإسلامية ، وللالتزام بالإسلام ، ومحاولة إعادته من جديد إلى شتى مناحي الحياة ليقوم بدوره كاملاً فيها ، حتى تتجه الحياة وجهة إسلامية من حياتها ، وفيما يلي أبرز مظاهر تلك الصحوة المعاصرة بإيجاز :

١- منظمة المؤتمر الإسلامي :

أدرك بعض قادة الإسلامية أن ضعفها يكمن في فرقتها وتشتتها ، وأن قوة الأمة لن تكون الإ عن طريق وحدتها وتضامنها ، وعودتها إلى مبادئ دينها الحنيف ، خاصة وأنه قد جربت كل المذاهب والنظريات السياسية الأوروبية ، ولم تجد فيها نفعاً ولا حلاً لمشاكلها ، بل على العكس ، فقد زادت من مصاعبها ، وواجتها بمصاعب وتحديات جديدة ، ومن ثم فقد قامت دعوات وحركات شعبية قوية في العالم الإسلامي تنادي بضرورة تضامن المسلمين ، وبضرورة العودة إلى الإسلام من جديد ، ليكون منهاجاً ونظاماً يحكم كافة شئون المسلمين الحياتية ، وليكون أساساً لوحدة الأمة الإسلامية ، خاصة وأن المسلمين قد جربوا شتى أشكال الوحدة القائمة على غير أسس إسلامية ، مثل أشكال التكتلات الإقليمية ، والقومية والاقتصادية دونما نجاح ، فقد حاولت بعض الدول المسلمة مثل تركيا ، وإيران وباكستان تحقيق شئء من الوحدة بينها عندما انضمت إلى " الحلف المركزي " – وحاولت الدول العربية أن توحد صفوفها عندما انضمت إلى " الجامعة العربية " ، ثم حاولت دول كثيرة أخرى نفس الشيء عندما انضمت إلى " حركة عدم الانحياز " – أو إلى غيرها من المنظمات الرامية إلى الوحدة ، ولكن دون أن تحقق الأمة الإسلامية هدف الوحدة ، وكان عليها أن تتجه إلى سبيل آخر ، هو سبيل الاعتماد على الذات ، وأن تحاول إيجاد التضامن بجهود ذاتية داخلية ، الأمر الذي دعا بعض دولها وقادتها إلى الدعوة إلى إنشاء منظمات إسلامية هدفها تحقيق وحدة وتضامن المسلمين بالتدريج وبالسبل المتاحة لدول العالم الإسلامي ، فقامت منظمة المؤتمر الإسلامي .

وكان قيام هذه المنظمة تتويجاً لجهود رسمية وشعبية في العالم الإسلامي ، لعبت المملكة العربية السعودية ، والمخلصين من أبناء الأمة دوراً بارزاً في إنجاحها .

وبدأت هذه الجهود بعقد عدة مؤتمرات : مثل مؤتمر بيت المقدس الإسلامي في سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م ، ومؤتمر كراتشي في سنة ١٩٤٩ و ١٩٥١ م ، واجتماع مقديشو في عام ١٩٦٤ م ، وكان هدفها كلها محاولة معالجة مشكلات العالم الإسلامي السياسية ، والثقافية ، والاجتماعية والاقتصادية ، وتعززت مثل هذه الدعوات وتطورت إلى الدعوة لإقامة " تجمع إسلامي دولي " كانت المملكة العربية السعودية من أول الداعين له في الستينات من القرن الميلادي الفائت .

وقد واجهت هذه الدعوة معارضة من بعض الدول العربية والإسلامية ، والدول الكبرى مثل الاتحاد السوفيتي آنذاك ، لأسباب أيديولوجية وسياسية مختلفة ، حيث كانت تتوزع أهواء قادة الدول الإسلامية والعربية ، فالستينات كانت فترة ازدهار الفكر الاشتراكي والثوري في المنطقة الإسلامية ، ورغم كل ذلك استمرت المحاولات والدعوات الرامية إلى إيجاد نوع من الوحدة بين المسلمين حتى وقوع نكبة يونيو ١٩٦٧ م التي خسر فيها العرب معركتهم ضد دولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) ، حيث قويت فكرة التجمع الإسلامي بين قادة المسلمين – عرباً وغير عرب – ثم تبلورت الفكرة في دعوة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية لاجتماع القمة الإسلامية بالرباط في عام ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، الذي جاء كرد فعل على الجريمة الصهيونية في إحراق المسجد الأقصى ، وفي ذلك المؤتمر تقرر إنشاء منظمة العالم الإسلامي – كأول تجمع إسلامي رسمي .

وقد تم إقرار ميثاق المنظمة في المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في جدة عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٢ م ، الذي اشتركت فيه ثلاثون دولة إسلامية ، وقد تزايد عدد أعضاء المنظمة حتى شارف على ما يربو على الخمسين دولة ، وتهتم المنظمة بالمسلمين في جميع أنحاء العالم ، سواء كانوا أغلبيات أو أقليات مسلمة ، وتقرر المنظمة في ميثاقها أن الإسلام هو العامل الأقوى في تقارب وتفاهم وتضامن الشعوب الإسلامية ، بل إن العقيدة الإسلامية عامل من العوامل المهمة لتحقيق التقدم والرفاهية بين أبناء البشر .

أهداف المنظمة :

تسعى منظمة المؤتمر الإسلامي إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- تعزيز التضامن الإسلامي بين الدول الأعضاء .

٢- دعم التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والعلمية ، وفي المجالات الحيوية الأخرى ، والتشاور بين الأعضاء في المنظمات الدولية .

٣- العمل على محو التفرقة العنصرية ، والقضاء على الاستعمار في جميع أشكاله .

٤- اتخاذ التدابير اللازمة لدعم السلام والأمن الدوليين القائمين على العدل .

٥- تنسيق العمل من أجل العمل على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها ، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني ، ومساعدته على استرجاع حقوقه ، وتحرير أرضيه .

٦- دعم كفاح جميع الشعوب الإسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها ، وحقوقها الوطنية.

٧- إيجاد المناخ الصحيح لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى .

وقد تبنى الملك فيصل آل سعود _ يرحمه الله _ الدعوة إلى التضامن الإسلامي للوقوف أمام المخططات الاستعمارية ، ولم شعث المسلمين ، ومجابهة الغزو الفكري بجميع أشكاله ، وقام من أجل ذلك بعدة جولات في معظم البلاد الإسلامية ، كما أرسلت المملكة العربية السعودية عدة بعثات لأفريقيا من أجل مساعدة المسلمين هناك ، واستقبلت المئات من الطلاب في جامعاتها ، وكان نتيجة هذا المجهود :

١_ تبهت الدول الأفريقية للخطر الصهيوني بعد اتصالات الملك فيصل بها ، فقطعت معظمها علاقتها السياسية مع الكيان الصهيوني ، وانقلب العديد منها إلى تأييد الحق الإسلامي في فلسطين وغيرها.

٢- أنشيء البنك الإسلامي للتنمية ليسد الفراغ في مساعد الدول الإسلامية النامية ، وليقدم المساعدات لها على أسس خالية من المعاملات الربوية.

٣- أنشئت الأمانة العامة للدول الإسلامية بجدة بعد انعقاد عدة دورات لملوك ورؤساء الدول الإسلامية (منظمة الدول الإسلامية) ، وعقدت عدة مؤتمرات قمة إسلامية ، أسفر الثالث منها على تأسيس مجمع الفقه الإسلامي في مكة

٤- أنشيء المجلس الأعلى للمساجد ، وبدأ العمل في التنسيق بين مؤسسات الدعوة في العالم الإسلامي ، ورعاية المساجد ، إعداد الدعاة .

٥- تبني القضايا الإسلامية ، ومد يد العون للأقليات المسلمة التي تعاني الظلم والاضطهاد ، وأنشئ معهد شئون الأقليات المسلمة التابع لجامعة الملك عبد العزيز بجدة (ولكنه انتقل فيما بعد إلى لندن) ، لخدمة الأقليات المسلمة ودراسة مشاكلها .

وأنشئت إذاعة نداء الإسلام في مكة المكرمة لخدمة قضايا الأقليات المسلمة أيضاً ، وأصبحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تجمعاً كبيراً لأبناء المسلمين ، ومكاناً لإعداد الدعاة .

٦- وافقت منظمة العالم الإسلامي في مؤتمرات لاحقة على إقامة ما يلي :

-صندوق التضامن الإسلامي . -صندوق القدس . -اتحاد المصارف الإسلامية .

-الغرفة الإسلامية للتجارة ، والصناعة وتبادل السلع . -البنك الإسلامي للتنمية . -وكالة الأبناء الإسلامية الدولية

-منظمة إذاعات الدول الإسلامية . -المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والتكنولوجيا والتنمية في جدة .

-اللجنة الدولية للتراث الإسلامي . -المركز الإسلامي للتنمية التجارية في طنجة .

-المركز العلمي للتربية والتعليم الإسلامي في مكة المكرمة . -المركز الإسلامي للتدريب التقني والبحوث في داكا بالسنغال .

-اللجنة الإسلامية الدولية للقانون . -مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استانبول .

كما وضعت المنظمة المبادئ العامة التي تحكم العلاقات بين الدول الأعضاء في الآتي : المساواة بين الأعضاء ، واحترام سيادة أراضي كل عضو ، والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها ضد وحدة وسلامة كل عضو ، وحل الخلافات بالطرق السليمة .

كما اشتمل ميثاق المنظمة على هيئات المؤتمر الإسلامي ، وتتكون من : مؤتمر ملوك ورؤساء الحكومات ، وينعقد مرة كل ثلاث سنوات ، ومؤتمر وزراء الخارجية ، ويجتمع كل سنة أو عند الحاجة في أي بلد من البلدان الأعضاء ، وأخيراً الأمانة العامة للمؤتمر ، والمؤسسات التابعة لها ، ومقرها جدة بالمملكة العربية السعودية .

وللمنظمة – كما أسلفنا – عدة مؤسسات منتشرة بين جدة والرياض ، ودكا ، وكراتشي ، واستانبول وغيرها .

٢- رابطة العالم الإسلامي :

وهي منظمة إسلامية عالمية ، وشعبية ، تمثل كافة الشعوب الإسلامية في أنحاء العالم ، وقد انبثقت عن المؤتمر الإسلامي العام الأول الذي عقد بمكة المكرمة في ١٤ ذي الحجة عام ١٣٨٢ هـ / مايو ١٩٦٢م ، ومقرها مكة المكرمة ، والرابطة معترف بها دولياً باعتبارها عضواً في منظمة الأمم المتحدة ، ضمن المنظمات غير الحكومة ، كما أنها عضو في منظمة " اليونسكو " وفي صندوق الطفل العالمي بهيئة الأمم المتحدة .

وللرابطة " مجلس تأسيسي " هو الذي يرسم سياستها ، ويحدد أهدافها ، ويتكون المجلس من ست وخمسين عضواً من العلماء والمفكرين المسلمين ، ويجوز زيادة هذا العدد ، وذلك بترشيح من الأمين العام ، وموافقة المجلس التأسيسي ، والسلطة التنفيذية . وفي الرابطة " أمانتها العامة " ، ومقرها مكة المكرمة أيضاً ، والأمين العام – إلى جانب مسئولياته التنفيذية – هو المسئول عن التنظيم والتكوين الإداري والمالي للرابطة .. وهو كذلك حلقة الاتصال المباشر بين الرابطة ومختلف الجهات والهيئات العالمية ، وهو المسئول عن متابعة أعمال الرابطة ، ورفع التقارير عن تلك الأعمال إلى المجلس التأسيسي الذي يجتمع مرة واحدة في موسم الحج من كل عام ، وقد يجتمع أكثر من مرة في العام للحالات الاستثنائية .

وللرابطة عدة إدارات مثل : إدارة المؤتمرات والمجلس التأسيسي ، وإدارة الثقافة الإسلامية ، إدارة الصحافة والنشر ، إدارة الأقليات المسلمة ، وغيرها .

أهداف الرابطة :

١- تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئه ودحض الشبهات عنه .

٢- التصدي للتيارات ، والأفكار الهدامة.

٣- الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحق مصالح المسلمين .

٤- دعم الجمعيات الإسلامية التي تعمل على خدمة المسلمين ، ونشر الدين الإسلامي في كافة أنحاء العالم .

٥- تقديم الخدمات للمسلمين في جميع دول العالم .

ولكي تتمكن الرابطة من تحقيق أهدافها تلك ، فإنها تستخدم العديد من الوسائل ، مثل :

١- العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد الإسلامية .

٢- تشجيع الدعاة المسلمين – مادياً ومعنوياً – للعمل على نشر الدين الإسلامي .

3- دعم المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة

٤- العمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي مما قد يلحق بها من تأثيرات وأفكار غريبة عن روح الإسلام .

٥- نشر التعليم الإسلامي بالمساهمة في إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي ،

٦- دراسة مشاكل الأقليات المسلمة ، والتعرف على مطالبهم ، ومد يد المساعدة لهم .

٧- الاستفادة من مناسك الحج – إلى أبعد مدى ممكن – في مجال التوعية الإسلامية ، وذلك عن طريق المحاضرات والندوات الإسلامية التي تقيمها الرابطة في موسم الحج .

٨- العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة حتى تكون لغة التفاهم بين الجميع .

٩- تشجيع التأليف الإسلامي ، والاعتناء بالكتب التي تشرح حقائق الإسلام الناصعة ، وتشجيع المؤسسات الصحفية ، ودور النشر التي تخدم الدعوة الإسلامية .

أنشطة الرابطة :

للرابطة مكاتب فرعية في مختلف دول العالم ، وهي معترف بها رسمياً من قبل سلطات تلك الدول ، بل إن العديد منها يتمتع بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية – وقد بلغ عدد مكاتب الرابطة في جميع أنحاء العالم ٢٥ مكتباً حتى عام ١٤٠٥ هـ .

وللرابطة نشاط مقدر في تقديم المساعدات المالية والعينية للاجئين المتضررين من الكوارث ، وقد أنشأت لهذا الغرض " هيئة الإغاثة الإسلامية " ومقرها مكة المكرمة ، ولها عدة مراكز في عدد من البلدان الأفريقية والآسيوية.

كما أن للرابطة دوراً في نشر الفكر والوعي الديني ، أنشأت من أجله مطبعة خاصة ، تقوم بطباعة الكتب والنشرات في هذا المجال ،وقد اهتمت الرابطة بترجمة معاني القرآن الكريم بمختلف اللغات ، وأنشأت لذلك إدارة الشؤن وأبحاث القرآن الكريم ، وترجمت معانيه .

وتصدر الرابطة مجلتين : عربية وإنجليزية ، بالإضافة إلى جريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية ، وكتاب دعوة الحق الشهري ، وتقوم الرابطة بتشجيع عدد من الصحف الإسلامية في مختلف أنحاء العالم .

- المؤسسات الثقافية والتعليمية الإسلامية :3

أ- المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة (إيسيسكو):

أنشأتها منظمة المؤتمر الإسلامي تنفيذاً لتوجيهات قادة الدول الإسلامية ، وهي منظمة متخصصة تعمل في ميادين العلوم والثقافة ، ولها شخصيتها القانونية الاعتبارية المستقلة ، ولها أجهزتها الخاصة بها وهي :

١- المؤتمر العام – وهو هيئتها العليا – ويضم وزراء الثقافة والعلوم في دول منظمة المؤتمر الإسلامي .

٢- الإدارة العامة ، وعلى رأسها مدير عام منتخب من المؤتمر العام ، ومن أهم أهدافها :

حماية الهوية الإسلامية وتقويتها وبخاصة في أوساط الأقليات المسلمة ، والدفاع عن الإسلام وعرضه بالطريقة الصحيحة ، والعمل على محو الأمية بين المسلمين ، وتطوير المدارس القرآنية ، وتوثيق روابط الأخوة بين الأعضاء والاهتمام بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بهدف تعلم الدين .

ب – المركز العالمي للتعليم الإسلامي :

أنشئ هذا المركز بموجب توصية صدرت عن المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد في عام ١٩٧٧ بمكة المكرمة .

ومن أهداف هذا المركز :

١- وضع الكتب والمناهج الدراسية على أسس من التعاليم الإسلامية بما يحقق غرس القيم السليمة في نفوس الناشئة .

٢- ترسيخ القيم الإسلامية وتدعيمها بين الناس عن طريق مناهج التعليم ذات السمة الإسلامية .

٣- تغيير المفاهيم العلمانية المعادية للدين وإحلال مفاهيم إسلامية في شتى فروع المعرفة .

٤- العمل على تحقيق توصيات ما يعقد من مؤتمرات للتعليم الإسلامي .

جـ - الاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية :

هو مؤسسة عالمية للتربية والثقافة الإسلامية هدفها نشر الثقافة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، وقد أنشئ بموجب قرار مؤتمره التأسيسي الذي عقد في الرياض في الفترة مابين ٢٢ – ٢٦ ربيع الأول ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٢ -٢٦ مارس ١٩٧٦ م ، ومدينة الرياض هي مقر أمانته العامة ، ولها مكاتب في كل من جدة ، القاهرة ، الخرطوم ، لندن ، نيويورك ، ويتكون الاتحاد من عدد المؤسسات التعليمية التي تعمل على نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية على المستوى المحلي والمستوى العالمي ، ويشترط فيها أن تكون مؤسسات خاصة من حيث الإدارة والتوجيه ، وأن يكون تلاميذها من المسلمين ، وأن تعلم اللغة العربية كمادة أساسية في منهجها ، وكذلك أن تجعل المبادئ الإسلامية أساس التربية والثقافة فيها ، وأن تهيئ للتلاميذ بيئة إسلامية من حيث العقيدة والخلق .

وتتمثل أهداف الاتحاد في :

١- نشر اللغة العربية ، ورفع مستوى تعليمها في أنحاء العالم باعتبارها لغة القرآن الكريم .

2-الحاجة إلى التعاون الاقتصادي :

يعاني العالم الإسلامي اليوم من الفقر ، ويعيش سكانه حالة محزنة من الحرمان والتخلف الاقتصادي ، رغماً عن الثروات والإمكانات الاقتصادية الهائلة التي يتمتع بها ، فأرضه واسعة تربو على أربعين مليون كيلومتر مربع ، وثرواته الزراعية ، والحيوانية ، والسمكية ، والمعدنية كبيرة ، وطاقته البشرية ضخمة ،وهو زاخر بالأيدي العاملة الكافية للتنمية الاقتصادية ، وفوق هذا كله هناك عقيدته الإسلامية التي توجهه التوجيه الصحيح إلى حسن الاستفادة من نعم الله تعالى – إن هو تمسك بها .. ومع هذا فالمسلمون يعيشون " في مستنقع الفقر الذي يجر وراء المرض ، والجهل والتخلف " ، والذي يهيئ السبيل للمؤسسات التنصيرية التي انتشرت في بلاد المسلمين لمحاولة هدم عقيدة الأمة ، وتنصير أبنائها .

وهناك تباشير خير يشهدها العالم العربي اليوم ، ولعلها تكون المثال الذي يحتذى ، أو النواة لوحدة اقتصادية أكبر ، تلك التباشير هي قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربي الذي تأسس عام ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، والذي يمشي بخطوات ثابتة على طريق التعاون والتكامل الاقتصادي ، ونرجوا ان يكون خطوة أولى تسير على هديها بقية دول العالم الإسلامي .

ونحن نشهد اليوم بدايات حادة لترميم البناء الاقتصادي لدول العالم الإسلامي ، المتمثل في جهود منظمة المؤتمر الإسلامي التي أعارت التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء أهمية كبيرة ، فمثلاً أنشئ في عام ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م " البنك الإسلامي للتنمية " و " صندوق التضامن الإسلامي " الذي تسهم فيه الدول الأعضاء ، كل حسب قدراتها الاقتصادية ، وقد قامت المملكة العربية بمجهود رائد في هذا المجال ، وتبرعت بما يساوي ثلث رأس مال البنك ، فأسهمت بمبلغ ألف مليون دولار ، ودعت الدول القادرة من أعضاء المؤتمر الإسلامي بتخصيص مبلغ لا يقل عن ثلاثة آلاف مليون دولار أمريكي لتمويل مشروعات التنمية في الدول الإسلامية .

المحاضرة الثانية عشرة

قضايا إسلامية معاصرة

الأقليات المسلمة :

ويقصد بالأقلية المسلمة ؟ مجموعة من المسلمين تعيش تحت سلطان دولة غير مسلمة في وسط أغلبية غير مسلمة ، أي أنها تعيش في مجتمع لا يكون فيه الإسلام الدين السائد ، أو الثقافة الغالبة ، ومن ثم لا يحظى فيه الإسلام بمؤثرات إيجابية تساعد على ازدهار مثله ومبادئه ، وقد يعاني المسلمون في حالات كثيرة من جهود ترمي إلى " علمنتهم " وإبعادهم عن مثلهم الدينية ، وإدماجهم في ثقافة المجتمع الغالبة.

وتعريف الأقلية المسلمة لا يكون من حيث المعيار العددي فقط ، وإنما من حيث وجودها الفاعل في الأجهزة السياسية والمدنية أيضاً ، وقد يشكل المسلمون في دولة ما أغلبية عددية ، ولكن ليس لهم نفوذ سياسي واقتصادي فاعل ، أو دور مؤثر في صناعة القرارات المصيرية ،وهناك من الكتاب من يرى أن المعيار العددي هو من أدق المعايير في تحديد ما يطلق عليه دولة إسلامية ، وما يطلق عليه أقلية مسلمة في دولة غير إسلامية ، إذ يرى أولئك أن الدولة التي يزيد عدد المسلمين فيها عن ٥٠ % من السكان هي دولة إسلامية ، وإذا قل المسلمون عن تلك النسبة المئوية كان المسلمون أقلية في الدولة المعنية ، والعقبة في هذا التعريف هو انعدام الإحصاءات السكانية التي يمكن الاعتماد عليها ، وكذلك غياب الانتماءات الدينية للسكان في الإحصاءات إن وجدت ، وسواء أخذنا بهذا التعريف أو ذاك للأقلية المسلمة ، فإن تلك الأقلية تبقى جماعة مسلمة تعيش في مجتمع وبيئة غير إسلامية ،

والتقديرات العامة قد تقترب أو تبتعد عن الحقيقة ، فمثلاً هناك بعض التقديرات المتحفظة التي تقول إن واحداً من بين كل ثلاثة مسلمين في العالم اليوم هو من ضمن أفراد الجاليات الإسلامية المنتشره في أنحاء العالم .

وضمن احصائيات العام ٢٠٠٠ م فإن واحدا من كل أربعة أشخاص في العالم سيكون مسلماً ، وكذلك سيكون من بين كل اثني عشر شخصاً في العالم فرد ينتمي للاقليات المسلمة .

وهناك الآن تواجد إسلامي في نحو تسعين دولة من دول العالم ، بينهما أربعة وأربعين دولة إسلامية (أي ذات أغلبيات مسلمة) ، والبقية (٤٦) دولة أقليات مسلمة ، فالمسلمون في قارة آسيا مثلاً يقدرون بحوالي ٨٩٢ مليون مسلم ، منهم ٢٥١ مليون مسلم يعيشون كجماعات وأقليات مسلمة ، كما أن عدد الأقليات المسلمة في أوروبا يقدر بحوالي ٦٦ " ستة وستون " مليون نسمة ، من مجموع سكان أوروبا البالغ عددهم ٧٣٢ مليون نسمة ، ووصل عدد المسلمين في القارة الأمريكية ، وفي استراليا إل حوالي ١٣ مليون مسلم ،

وتقول هذه الإحصائية الصادرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي أن عدد المسلمين في أفريقيا يقدر بحوالي ٣١٦ مليون مسلم من مجموع سكان القارة البالغ عددهم ٦٥٢ مليون نسمة ، وأن ٤٤ مليون مسلم في قارة أفريقيا يعيشون كأقليات مسلمة.

وهناك تقديرات أخرى تجعل عدد الأقليات المسلمة العائشة خارج حدود العالم الإسلامي حوالي ٣٧٤ مليون نسمة وأن الأغلبية منهم تعيش في قارة آسيا .

ويختلف توزيع المسلمين في القارة الواحدة من دولة إلى أخرى ، ففي آسيا تعيش معظم الأقليات المسلمة في الصين والهند ، ففي الصين يعيش حوالي ١٠٠ مليون مسلم (وإن كانت بعض المنظمات الإسلامية ترى أنهم أكثر من ذلك بكثير ،، وتقول الإحصائيات الهندية الرسمية أن عدد المسلمين في الهند حوالي ٩٠ مليون مسلم ولكن المسلمين أنفسهم يعتقدون أن عددهم حوالي ١٥٠ مليون مسلم ..

١- الأقليات المسلمة في أوروبا :

ولابد من دراسة الأقليات المسلمة في أوروبا في إطار العلاقات التاريخية بين الإسلام والمسيحية عبر العصور ، منذ الوجود الإسلامي في إسبانيا ، ثم العلاقات العثمانية الأوروبية ، ثم مرحلة الوجود الاستعماري الأوروبي في البلدان الإسلامية ، ونتج عن كل ذلك ظاهرة " المواجهة بين الإسلامة وأوروبا ، والتي بلغت ذروتها أيام الحروب الصليبية والمرحلة الاستعمارية ، وتتجلى الآن في الدعوات الأصولية الحالية في عالم الإسلام ، والتي تخشاها أوروبا وتظنها دعوات موجهة ضدها ، وتولد عن هذه " المواجهة " سوء فهم لازال يحكم العلاقة بين الأكثرية الأوروبية والأقليات المسلمة التي تعيش في وسطها ، ودراسة الوضع الأوربي أو البيئة التي تعيش فيها تلك الأقليات المسلمة سيمكننا من فهم أعمق للظروف الحياتية والمعيشية ، لتلك الأقليات ، وللمشاكل التي تواجههم وربما إيجاد السبل الصحيحة لحلها .. إذ أن مثل تلك الدراسة ستضع قضية الأقليات تلك في محتواها الصحيح ، فمحاولة فهمنا مثلاً للعلمانية السائدة في أوروبا ، ونظرتها للدين ، وكذلك فهمنا لسلوك المسلمين في تلك المجتمعات الأوروبية ، الذين يحاولون العيش حسب مقتضيات دينهم ، في المأكل ، والمشرب ، والملبس (حجاب النساء مثلاً) ، وممارسة عباداتهم مثل الصلاة في أوقات العمل والدراسة ، وهي كلها ممارسات جعلت الأوروبيون ينظرون إليها بشيء من الاستغراب ..

والمسلمون في أوروبا يعانون من مشاكل عديدة : أهمها خطر فقدان هويتهم الإسلامية ، ثم شعورهم بأنهم غرباء عن المجتمع الأوروبي ، غرباء في العقيدة ، وفي التقاليد واللغة ، وحتى في الشكل والعرق ، وشعورهم بأن المجتمع الأوروبي يعاملهم وينظر إليهم كغرباء أيضاً ، ويمارس ضدهم بعض التحزبات ، في العمل ، وفي السكن ، وفي الخدمات الاجتماعية ، وفي التعليم ، واللغة والمواطنة ، وهم يرون في تلك التحزبات والحواجز عقبات رئيسة تقف في طريق

ممارستهم لحياة طبيعية في المجتمعات الأوروبية والتي تدعي حماية الحقوق الإنسانية ، ومن ثم فالمسلمون يشعرون بأنهم يعيشون على أطراف ذلك المجتمع ، وفي عزلة دينية وفكرية عنه ، وكنتيجة للمعاملة التي تلقاها تلك الأقليات المسلمة في أوروبا على يد الأغلبية ، فإن شعورها بأنها " أقلية " مغلوبة على أمرها يتزايد باستمرار ، وهو ما يطلق عليه البعض " عقدة الأقلية " ، ولعل هناك أسباباً أخرى لهذا الشعور ، مثل : البحث عن الجذور ، والحنين للأوطان ، وعدم تقبل النساء للعادات والمثل السائدة في المجتمع الأوروبي ، وحواجز اللغة ..

٢- الأقليات المسلمة في أفريقيا :

يشكل المسلمون في أفريقيا ثقلا ضخما لا يمكن تجاهله رغم ما به من ضعف فهناك خمس عشرة دولة إفريقية جنوب الصحراء تفوق نسبة المسلمين فيها ٧٠% والإسلام جبهة زاحفة بقوة في القارة الأفريقية ، ولذلك لا غرو إذا احتدام الصراع بين النصرانية والإسلام لتحويل قبلة القارة ودينها وحضارتها ، وقد عمل النصارى وفقا لمخطط تصبح بموجبة أفريقيا قارة نصرانية في عام ٢٠٠٠م ، وها قد جاء هذا العام ولم يحدث ما خطط له النصارى ، بل حدث عكس ما أرادوا ، إذ أن يزداد انتشارا في القارة السمراء ، ورغم ذلك فهناك أقليات مسلمة في أفريقيا تعاني من مشاكل ومصاعب معينة ، ونحن إذ نعرف الأقلية المسلمة لا نعرفها من حيث المعيار العددي وإنما من حيث إنها جماعات مستضعفة – رغم ثقلها العددي في بعض البلدان – لا تتمتع بوجود في السلطة السياسية ، والخدمة المدينة ، وليس لها نفوذ اقتصادي فاعل ، أو دور مؤثر في صياغة القرارات المصيرية ، فهم قابعون تحت سيطرة حكومات أقلية نصرانية ، تتحكم في مصائرهم ، وتعمل في معظم الأحيان على إبقائهما في حالة من التخلف والانحطاط ، ومن ثم فإنه تلك الأقليات المسلمة في أفريقيا تواجه العديد من المشاكل والتحديات .

قضية فلسطين :

قيام دولة الصهاينة في فلسطين المسلمة في ١٥ مايو ١٩٤٨ م كان نتيجة جهود كبيرة قامت بها الحركة الصهيونية السياسية ، بمؤازرة ودعم الاستعمار البريطاني الذي جثم على أرض فلسطين قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى عام ١٩٤٨ م .

١- الصهيونية وفلسطين :

بدأ التحضير لاغتصاب فلسطين على أيدي الصهيونيين خمسين عاماً قبل إعلان دولة الكيان الصهيوني في فلسطين في مايو عام ١٩٤٨ م ، وذلك عندما أقر المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في مدينة " بال " بسويسرا في مايو عام ١٨٩٧ م ، وحضره أكثر من مائتي يهودي الجاليات اليهودية في سبعة عشر دولة ، مبدأ إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي يحميه القانون العام .

ويعتبر ثيودور هرتزل ، وهو يهودي مجري ، ومولف كتاب " الدولة اليهودية " (باللغة الألمانية) أول من حول آمال العودة لدى اليهود إلى أرض الميعاد – فلسطين – من مجرد أمل وحلم ديني ، إلى هدف سياسي ينبغي الوصول إليه بشتى الوسائل والسبل ، وقد أيد هذه الفكرة يهود قوميون آخرون .

وقد قال هرتزل في كتابه المذكور بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في الأرجنتين أو في فلسطين تدعمه وتسنده بريطانيا ـ إدراكاً منه أن الحركة الصهيونية لن تبلغ أهدافها إلا بدعم من إحدى القوى الأوروبية الفاعلة ، وذلك واضح في البرنامج الصهيوني الذي وصفه مؤتمر " بال " والذي يتلخص في النقاط الآتية :

1- استيطان يهودي لفلسطين بشكل منظم ، وعلى نطاق واسع .

٢- تأمين حق شرعي للاستيطان معترف به دولياً .

٣- إنشاء منظمة دائمة لتوحيد جهود اليهود من أجل خدمة القضية الصهيونية .

٤- اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على الضمانات الحكومية اللازمة لتحقيق أهداف الصهيونية .

٥- تغذية الشعور والوعي القومي اليهودي .

ويتضح من برنامج مؤتمر " بال " أن الصهيونية حركة عنصرية ذات طبيعة استعمارية تهدف إلى اقتلاع يهود العالم من مجتمعاتهم التي يعيشون فيها عبر هجرات متصلة لخلق دولة قومية يهودية في فلسطين ، ومعنى ذلك أن الصهيونية

قررت عامدة تحويل اليهود المضطهدين في المجتمعات الغربية إلى مهاجرين إلى فلسطين ، ثم مستوطنين فمحتلين لأراضي السكان المحليين بعد طردهم منها ..

ولم يكن غريباً أن يتجه " هرتزل " إلى القيصر الألماني ثم إلى السلطان العثماني " عبد الحميد الثاني " لنيل سندهما ، وعندما فشل في ذلك وجه جهوده الدبلوماسية نحو انجلترا حيث كانت الحركة الصهيونية تلقى التشجيع والمؤازرة من بعض كبار الساسة البريطانيين ، وقد توجت جهود " هرتزل " تلك في ٢ نوفمبر ١٩١٧ م ، حينما أصدر وزير خارجية بريطانيا " بلفور " الوعد الشهير القاضي بمساندة بريطانيا لإقامة وطن يهودي قومي في فلسطين ، والوعد عبارة عن رسالة بعث فيها آرثر بالفور – وزير الخارجية الذي عمل بحماس لصالح الصهيونية – إلى اللورد روتشيلد الثري الصهيوني المعروف ،

وغني عن الذكر أنه لا حق لليهود – تاريخياً – في أرض فلسطين كما يدعي الصهيونيون ، ففلسطين منذ السنة الخامسة عشرة الهجرية أرض إسلامية ، وهي قبل ذلك التاريخ أرض عربية ، وظلت كذلك على مدى خمسة آلاف عام ، والواقع أن الوجود اليهودي في فلسطين لم يتجاوز المائة والأربعين سنة ، وكان ذلك على فترتين :

الأولى : بين عام ١٠٠٠ قبل الميلاد وحتى عام ٩٢٧ قبل الميلاد ، والفترة الثانية بين سنتي ١٤٢ قبل الميلاد وحتى سنة ٧٥ قبل الميلاد ، وواضح أنهما فترتان قصيرتان ، وعلى مدى زمني متباعد .

أما الأسباب التي دعت إلى نجاح اليهود لاستلاب الوطن الإسلامي في فلسطين فهي عدة ، من أهمها :

أ – التخطيط الصهيوني والصبر على المخطط :

أشرنا إلى هدف الصهيونيين في فلسطين ، وهو استيطانها ، عن طريق تنمية الهجرة ، وعن طريق شراء الأرض ، والبحث عن الحماية الدولية ، واستغلالها لمصلحتهم ، فهذا هو هدفهم ومخططهم والذي صبروا في سبيل الوصول إليه ، رغم الأحداث الجسيمة التي تواجه اليهود في شتى بقاع العالم ، مثل الاضطهاد الذي لقوه من ألمانيا النازية وغيرها من دول أوروبا ، ومثل المقاومة العربية التي كان يلقاها مشروعهم ونشاطهم الاستيطاني ، والتي لقيها مشروعهم الصهيوني من قبل الدولة العثمانية وسلطانها عبد الحميد ، والذي – حتى ساعة خلعه من الحكم – رافضاً لهجرة اليهود إلى فلسطين ..

ب – غياب التخطيط لدي الأمة الإسلامية :

وفي مقابل التخطيط للحكم من قبل الحركة الصهيونية ، كان قادة الأمة الإسلامية يفتقدون التخطيط في محاولاتهم الوقوف أمام المطامع الصهيونية في فلسطين ، وكانت مواقفهم لا تخرج عن كونها ردود أفعال لبعض ما كان يقوم به الصهيونيون من عمل منظم بغرض الهيمنة على أراضي فلسطين ، وطرد أهلها منها ، ثم إقامة دولتهم فيها ، ورغم توافر الإخلاص لدى بعض قادة الأمة الإسلامية والكثير من أفرادها ، إلا أن أفعالهم لم تتعد الاستنكار ، والشجب ، والتظاهر ، وغير ذلك من مظاهر الرفض ،

جـ - إبعاد الإسلام عن المعركة :

كان واضحاً للصهيونيين وحلفائهم الاستعماريين أن الإسلام هو الخطر الأول لو أدخل معترك القضية الفلسطينية ، وذلك بما ينطوي عليه من دعوة للجهاد ،واعتباره فرض عين إذا ما غزيت ديار الإسلام ، وبما يدعو إليه من تخطيط ، وإعداد معنوي ، وإعداد عسكري ، { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم } (ألأنفال : ٦٠) ، وغير ذلك من الأوامر الربانية التي تدعو لمحاربة أعداء الله ، وبخاصة اليهود والذين كانوا وما زالوا أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين .

د – إقصاء الشعب الفلسطيني عن المعركة :

عندما أدرك الاستعمار البريطاني ، وكذلك الصهيونيون بسالة الشعب الفلسطيني ، وتصميمه الذود عن أرضه ومقدساته ، قرر إقصاء عن المعركة ، وإدخال العرب والجيوش العربية إلى أطراف تلك المعركة مع علمهم وإدراكهم لمدى ضعف تلك الجيوش ، ومدى تخاذلها وكان ذلك عندما قامت سبعة جيوش عربية لتخوض المعركة ضد الصهيونيين ، وبالنيابة عن الشعب الفلسطيني ، وكانت النتيجة التي خطط الاستعمار الغربي سلفاً أن هزمت تلك الجيوش ، وسلمت أراضي فلسطين جزءاً جزءاً إلى دولة إسرائيل المزعومة ، وعندما انتهت حرب فلسطين ١٩٤٨ م تلك ، كان الشعب الفلسطيني

قد تم إقصاؤه حربياً عن المعركة ، وبعد ذلك إقصاؤه سياسياً عنها ، فتحولت قضية فلسطين أمام هيئة الأمم المتحدة إلى نزاع بين دول ذات سيادة : دولة عربية مع دولة الكيان الصهيوني .. أضف إلى ذلك عمليات التصفية والإبادة التي تعرضت وتتعرض لها القيادات الفلسطينية ، خاصة المقاتلة منها ، عل أيدي بعض الحكام العرب ، فهناك المذابح التي تعرضت لها تلك العناصر الفلسطينية الوطنية في أيلول الأسود في الأردن ، وفي تل الزعتر..

٢ – مرحلة العمل الصهيوني – البريطاني لتهويد فلسطين – ١٣٣٧ – ١٣٥٨ هـ / ١٩١٨ – ١٩٣٩ م :

تعتبر هذه المرحلة من أدق المراحل القضية الفلسطينية ، إذ تمكنت بريطانيا خلالها من فرض انتدابها على فلسطين ، وفيها وقعت البلاد العربية في الشام والعراق تحت قبضة الاستعمار البريطاني والفرنسي ، وتمكنت الصهيونية والعلمانيون من أبناء الأتراك من إسقاط الخلافة العثمانية وإلغائها ، وتبنت دول الحلفاء في مؤتمر السلام وعد بلفور ،

وتمكن الإنجليز من الانفراد بفلسطين يؤسسون لقيام دولة صهيونية فيها .. وكان ذلك عن عدة طرق :

أ – تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين :

تزايدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين تحت الانتداب ، وشجعت السلطات البريطانية في فلسطين تلك الهجرة ، ففتحت لها الباب على مصراعيها ، فبعد أن كان عدد اليهود في فلسطين عام ١٣٣٩ هـ / ١٩١٩ م خمساً وخمسين ألفاً ، تزايد حتى وصل في عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م حوالي ٦٥٠ ألفاً ، ورأى أهل فلسطين سيول المهاجرين اليهود الغرباء تغزو بلادهم دون أن يستطيعوا وقفها ، وكان اليهودي يمنح الجنسية الفلسطينية قبل أن يطأ أرض فلسطين .

ب – انتقال ملكية الأراضي إلى المهاجرين اليهود :

عملت الحكومة البريطانية على تشجيع انتقال ملكية الأراضي لليهود ، بحيث سنت القوانين والتشريعات التي تجعل الزراع الفلسطينيين في حالة من الفقر ، بحيث يتخلون عن أراضيهم للوكالة اليهودية ، والمنظمات الصهيونية الأخرى التي عمدت إلى شراء تلك الأراضي الزراعية ، مع العمل على طرد المزارعين الفلسطينيين منها ، وإحلال المستوطنات اليهودية مكانهم ، كما أن الحكومة منحت اليهود أراضي واسعة مما كان أيام العثمانيين أملاكاً للدولة ليقيموا عليها مستعمراتهم ، فرفعت بذلك نسبة الملكية اليهودية للأراضي في عام ١٩٤٨ م إلى ١٤ % ، بينما كانت النسبة في القدس لا تتعدى ٤ % .

جـ - اعتراف بريطانيا بالوكالة اليهودية :

اعترفت بريطانيا بالوكالة اليهودية ورئيسها حاييم وايزمان تشرف على أمور اليهود السياسية ، والتعليمية ، والاقتصادية والعسكرية ، فكانت دولة داخل دولة ، في الوقت الذي حرمت فيه العرب أي إشراف عل أمورهم ، كما عملت بريطانيا على تهويد الإدارات الحكومية بجعلها في أيدي اليهود صهيونيين ، أو إنجليز يهود ، أو إنجلترا معروفين بتعاطفهم ومساندتهم للصهيونية ، من أمثال هربرت صموئيل – المندوب السامي البريطاني في فلسطين في عام ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م ليشرف بنفسه على تهويد فلسطين ، فازدادت الهجرة ، حيث دخل اليهود المهاجرون فلسطين عن عدة طرق مستفيدين من قانون الهجرة الأول الذي أصدرته الحكومة البريطانية لينظم عملية دخولهم رسمياً لفلسطين ، الأمر الذي أدى إلى زيادة أعدادهم بعد أن كانوا أقلية ،

وقامت حكومة الانتداب بتوفير الحماية الاقتصادية لليهود ، وذلك بتقديم المساعدات المالية اللازمة للتنمية ، فخفضت رسوم المواد الخام التي تحتاجها الصناعة اليهودية من الخارج ، كما منحتهم امتيازات أخرى مثل السماح بتسليحهم ، وتجفيف بحيرة الحولة ، والحصول على امتياز من الحكومة البريطانية لمدة سبعين عاماً ، لاستغلال مياه نهر الأردن واليرموك عام ١٩٢٦ م ، وعدلت الحدود الشمالية لفلسطين لتسهيل عملية تحويل مجرى نهر الأردن ، إضافة إلى كل ذلك مكنتهم حكومة الانتداب من الإدارات الحكومية في فلسطين ، فمثلاً اعترفت باللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والإنجليزية ، ومنحت اليهود حق الإشراف عل شئونهم التعليمية ، بينما ظلت شئون الفلسطينيين في أيدي الموظفين الإنجليز واليهود .

٣ – موقف أهل فلسطين :

أدرك أهل فلسطين من الوهلة الأولى أبعاد خطر تصريح بلفور الرامي إلى إقامة دولة يهودية في بلادهم ، فعارضوه بشدة ، كما عارضوا انتداب بريطانيا على فلسطين ، وتضمين وعد بلفور صك ذلك الانتداب آراء عرب فلسطين – كما صورتها المنشورات التي كانت تصدرها جمعياتهم مثل الجمعية الإسلامية المسيحية تتلخص في :

١- وحدة سوريا و فلسطين – سوريا الجنوبية – جزء لا يتجزأ من سوريا .

٢- الرفض بالسماح بأن تتحول فلسطين إلى وطن قومي لليهود ،

٣- التفريق بين اليهود الفلسطينيين ، واليهود القادمين من الخارج ، واعتبار اليهود الفلسطينيين مواطنين يتمتعون بالحقوق والواجبات التي يتمتع بها بقية سكان فلسطين .

وكان واضحاً للإدارة البريطانية العسكرية في فلسطين آنذاك أن عداء السكان الفلسطينيين للصهيونية عداء ذو جذور عميقة ، وأنه آخذ في التحول إلى عداء للبريطانيين ، وأن فرض البرنامج الصهيوني بالقوة عليهم سيؤدي إلى انفجار خطير ، وأن الفلاحين كانوا أكثر استعداداً من سائر فئات المجتمع للثورة والتضحية ، وذلك للأضرار التي لحقت بهم برامج ومطامح الصهيونية ، فقد قاطع اليهود اليد العربية العاملة في المستعمرات اليهودية ، كما عارضوا برنامج القروض الزراعية للفلاحين..

وهكذا دخل الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار مرحلة جديدة ، فعقدت مؤتمرات فلسطينية ، كان أحدها المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا في ديسمبر ١٩٢٠ م والذي حضره ممثلون عن الجمعيات الإسلامية المسيحية والجمعيات الأخرى من مختلف أنحاء فلسطين ، وأشار البيان الصادر عن ذلك المؤتمر إلى عدم شرعية الإدارة البريطانية لأنها تمارس سلطاتها دون مجلس تمثيلي ، واعترض الأعضاء على اعتراف الحكومة بالمنظمة الصهيونية هيئة رسمية ، وباللغة العبرية لغة رسمية وكذلك استخدام العلم الصهيوني ، وقبول المهاجرين الصهيونيين ، وأعلنوا عن ميثاق وطني للحركة العربية في فلسطين يقوم على ثلاثة مبادئ :

١- شجب السياسة الصهيونية التي تنطوي على إقامة وطن قومي لليهود ، والمبنية عل تصريح بلفور .

٢- رفض مبدأ الهجرة اليهودية .

٣- إقامة حكومة تمثيلية وطنية .

وفي ظل الهجرة الصهيونية المتزايدة إلى فلسطين بسبب الاضطهاد النازي لليهود في أوروبا ، وتجاهل الإدارة البريطانية للمطالب الفلسطينية وانحيازها التام للصهيونية ، ظهرت دعوات للجهاد ضد الحكومة الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين ، كدعوة الشيخ عز الدين القسام ، التي تطورت في عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م إلى ثورة مسلحة ضد البريطانيين والصهيونيين كبديل وحيد للحيلولة دون إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ولكن قبل أن يتمكن " القسام " من تدعيم حركته استشهد قرب حنين أثر صدام عرضي وقع بين جماعته وقوات من الجيش والبوليس ، واستشهد معه اثنان من أتباعه ، وأسر خمسة آخرون واختفى الباقون في الجبال وسرعان ما أصبحت ذكرى حركته رمزاً للتضحية والفداء ، وغدت كل محاولة لإقامة تقارب بين الفلسطينيين والسلطات الحكومية مكتوباً عليها بالفشل ،

أ – الثورة الفلسطينية الكبرى : ١٣٥٥ هـ - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٦ م – ١٩٣٩م :

كان التوتر بين العرب واليهود يزداد حدة طوال عام ١٩٥٣ م وذلك نتيجة لاعتراض الصهيونية على إنشاء المجلس التشريعي الذي اقترحته الإدارة البريطانية ، وكذلك بسبب استمرار الهجرة اليهودية ، وبيع الأراضي على نطاق واسع ، ومن ثم فقد أدى حادث بسيط إلى اندلاع الثورة ، وهو إنه في الخامس عشر من أبريل عام ١٩٣٦ م قتل رجل يهودي ، وأصيب يهودياً بجروح خطيرة في الطريق بين نابلس وطولكرم ، وأتهم العرب بأنهم وراء هذا الحادث ، ورد اليهود بقتل عربيين ، وبهجمات على العرب وتفاقم الموقف ، ووقع صدام بين العرب واليهود عند حدود يافا – تل أبيب ، وأصيب عدد من كلا الجانبين بجروح ، وتطور الأمر أكثر عندما أعلنت بعض الجمعيات العربية في نابلس الإضراب العام في البلاد كلها – على أن يستمر الإضراب حتى تستجيب الحكومة للمطالب العربية ، وذلك هو الإضراب الذي استمر ستة أشهر ، ثم تحول إلى حركة مسلحة شملت كل أنحاء فلسطين ، واشترك فيها مجاهدون من مختلف البلاد العربية والإسلامية .

وقد عجزت بريطانيا بقواتها العسكرية ، ووسائلها القمعية عن القضاء على هذه الثورة ، فلجأت إل مناشدة الزعماء العرب بالتدخل ، وبالفعل تدخل الملوك والحكام العرب ، وأوقف أهل فلسطين الثورة ، وأنهوا الإضراب ، بعد أن وعدهم أولئك الزعماء بان بريطانيا ستحل قضيتهم حلاً عادلاً .

وأكد القادة الفلسطينيون أمام لجنة التحقيق الملكية البريطانية التي أرسلت إلى فلسطين لتحري أسباب الثورة عدم شرعية وعد بلفور ، وكذلك الانتداب البريطاني على فلسطين ، وطالبوا بإلغاء الانتداب وبإقامة حكم وطني مستقل ، وقالت اللجنة الملكية في تقريرها أن أسباب ثورة عام ١٩٣٦ م تعود إلى رغبة العرب في الظفر بالاستقلال الوطني من جهة وخوفهم من إقامة وطن قومي يهودي في بلادهم من جهة أخرى

وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، وبدأت بريطانيا بالخطر الصهيوني ، وأرادت التخلص من المشكلة ، فأصدرت كتابها الأبيض عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م عدلت فيه مشروع التقسيم ، وحاولت فيه تحديد الهجرة اليهودية ـ وتحديد انتقال الأراضي إلى اليهود ، ثم منح البلاد الاستقلال بعد عشرة سنوات وعارض الفلسطينيون الكتاب الأبيض ، بوصفه لا يحقق مطالب العرب التي تتخلص في أن نظفر فلسطين باستقلالها ضمن اتحاد فيدرالي عربي ، وتبقى عربية للأبد وعارض الصهيونيين كذلك الكتاب الأبيض ، وتعاهدوا على مقاومته بالعنف والإرهاب ، فقامت عصاباتهم مثل " شتيرن " و " الأرغون " بغارات على الثكنات العسكرية البريطانية ، والمستودعات والمطارات وأخذت تنسف دور الحكومات والمرافق العامة ، وقتلت عدداً من الضباط والجنود البريطانيين ، واغتالت اللورد " موين " وزير الدولة البريطانية في القاهرة .. كما قامت وسائل إعلامهم خارج فلسطين بحملة دعائية ضد

الكتاب الأبيض مستغلة في ذلك سلاح " اللا سامية " واضطهاد النازية لليهود ، وغيرها من الأمور التي حاولوا عن طريقتها كسب الرأي العالمي ، وتعاطفه مع آمالهم القومية في فلسطين.

واهتمت الصهيونية أثناء ذلك بالتنجيد والتدريب العسكري فكونوا " الهجاناه " وهي قوة عسكرية تابعة للوكالة اليهودية ، وألفوا المنظمات السرية الإرهابية من أجل إقامة دولة إسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل ، وقد اتحدت هذه العصابات لتكون في عام ١٩٤٧ م جيش الدفاع الإسرائيلي .. وفي مقابل هذه الاستعدادات العسكرية لم يكن للفلسطينيين أي منظمات عسكرية مسلحة ، أو حتى جماعات مسلحة ، وبدأ الفارق العسكري بين اليهود والعرب في فلسطين واضحاً ، وهو فارق استمر وتزايد حتى يومنا هذا وعليه تعتمد إسرائيل في تجاهلها للحقوق الفلسطينية ، بل ولجيرانها العرب الآخرين .

ب – الجهود الصهيونية لإقامة الدولة :

ولم يكن غريباً إذن أن يساند الرئيس الأمريكي " روزفلت " الحركة الصهيونية في مسعاها لإقامة دولة صهيونية في فلسطين ، فاجتمع بالملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية في البحيرات المرة في عام ١٩٤٥ م محاولاً إقناعه بالموافقة على تلك الدولة الصهيونية ، ولكن الملك المسلم رفض ذلك رفضاً تاماً لأن موقفه كان دائماً إلى جانب الحق العربي في فلسطين وإلى جانب رفض الهجرة اليهودية ، فقد كان مدركاً لمطامع الحركة الصهيونية وإلى خطرها على فلسطين وعلى البلاد العربية أيضاً .. بل إنه كان دائماً يحاول وبكل السبل إثناء بريطانيا عن مساندتها للصهيونية ، وكان يمثل بموقفه هذا موقف كل مسلم غيور على دينه ومقدساته .. المسلم الرافض لتأسيس الكيان الصهيوني على أقدس بقعة من أرض الإسلام بعد الحجاز .

واندفع الرئيس " ترومان " الذي خلف " روزفلت " في تأييد الصهيونية ، وممارسة الضغط على بريطانيا من أجل إعلان الدولة اليهودية ، وزيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين حتى يتحقق لليهود الغلبة العددية ، وقد خضعت الحكومة البريطانية لتلك الضغوط وأظهرت ذلك فيما أوصت به لجنة تحقيق بريطانية – أمريكية في عام ١٩٤٦ م بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين ....

٤ - قيام إسرائيل :

بانسحاب بريطانيا ، أعلن بن جوريون قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ م ، واعترفت بها بريطانيا لحظات بعد إعلانها ، وأعقبها الاتحاد السوفيتي ، ثم كل دول أوروبا الغربية ، كما اعترفت بها تركيا ، وإيران الشاه – فكانت أول دولتين إسلاميتين تعترفان بدولة الكيان الصهيوني .

ثم تلت من بعد ذلك مرحلة تثبيت الدولة الصهيونية التي امتدت من عام ١٣٦٨ هـ إلى عام ١٣٨٧ هـ / ١٩٤٨ م – ١٩٦٧ م ، وكانت أولى أحداث تلك الفترة دخول الجيوش العربية أرض فلسطين ، من الأردن ، وسوريا ، ولبنان ،

والعراق ، ومصر ، والمملكة العربية السعودية ، وقد لاقت تلك الجيوش بعض النجاح في الطور الأول ، ولكن الضغط الدولي أجبرها على قبول الهدنة ، التي استغلها اليهود في تسليح جيشهم في حين طبق حظر على تسليح الدول العربية ، وعندما استؤنف القتال أصيبت الجيوش العربية بانتكاسات وهزائم متتالية ، ثم كانت هدنة " رودس " مع كل من مصر ، ولبنان ، والأردن وسوريا عام ١٩٤٩ م ، والتي سيطرت إسرائيل بموجبها على ٧٧ % من الأراضي التي خصصت لليهود بموجب قرار التقسيم ، وفي مارس ١٩٥٠ م أصدرت الدول الاستعمارية الثلاث : الولايات المتحدة ، بريطانيا ، وفرنسا التصريح الثلاثي بضمان حدود إسرائيل ، والمحافظة على كيانها الصهيوني من أي خطر محتمل يتهددها

مرحلة التوسع اليهودي ١٣٨٧ – ١٤٠٩ هـ / ١٩٦٧ – ١٩٨٨ م :

اشتركت إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م وقد كسبت فيه : فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية ، والاتصال بأفريقيا ، وهو أمر هام جداً لإسرائيل .

ثم قامت إسرائيل بتحويل مياه نهر الأردن إلى النقب ، لاستيعاب مهاجرين جدد هناك ، وليصبح النقب قاعدة انطلاق لليهود الصهيونيين صوب شبه الجزيرة العربية ، ووادي النيل .

ثم جاءت حرب أكتوبر ١٩٦٧ م – حرب الأيام الستة ، ونتائجها ماثلة أمام أعيننا الآن ، احتلال القدس الشرقي ، والضفة الغربية وهضبة الجولان ، شبه جزيرة سينا ، ومحاولات الصهيونية إزالة المسجد الأقصى ، وبناء الهيكل المزعوم مكانه .

ثم كانت حرب رمضان ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م – وعبور الجيش المصري خط بارليف والسند الأمريكي العاجل والهائل لإسرائيل .

ثم جاءت اتفاقيات كامب دافيد – سبتمبر ١٩٧٨ م ، وما نتج عنها ، من توقيع اتفاق السلام بين مصر ودولة الكيان الصهيوني ، وتمزق الوحدة العربية الذي تلى ذلك السلام ، وتداعيات الأحداث التي نشهدها ونعيشها اليوم .

وتبقى في النهاية النتيجة المرة ، وهي : أن الشعب الفلسطيني اليوم موزع لاجئ ، يعيش أبناؤه مرارة اللجو ، وفلسطين غير موجودة على الخريطة السياسية ، ومكانها دولة الكيان الصهيوني التي أدخلت في روع العرب أنه لابد من الاعتراف بها ، فهي – كما يدعي قادتها – أمر واقع وأنه لا قبل للعرب من استرجاع فلسطين ، فالدولة الصهيونية قوية لا يمكن قهرها ، وأنه لا بد من السلام معها ، شاء العرب أم أبوا .